

عندما تهود قلبي

نعمت البياتي

كانت تسكن في شقةٍ مستأجرة قرب الحرم الجامعي، تقاسمت أجرتها مع فتاةٍ صينية جاءت لدراسة الطب في أميركا.... ورغم قرب الشقة من مبنى الحرم، إلا أنّ تلك الفتاة (العراقية) الأصل والمنشأ، كان عليها أن تستقل قطار مترو الأنفاق كلما أرادت زيارة أهلها في العاصمة (ديتر ويت) تلك الفتاة ذات العشرين عاماً، قد وُلدت ونشأت في بغداد قبل أن يقرر والدها الهجرة بعد سقوط العاصمة بيد الأمريكان في حرب الخليج وظهور بوادر الحرب الطائفية..... قصتها كقصة الكثير من المهجّرين، لكنها اختلفت بشيءٍ واحد، ذاك أنّها لم تعرف وطنها الأم أكثر من سنواتٍ عشر، ولذا، فهي لم تكن تفهم معنى الحنين الى الوطن، أو (الغربة).... أخذ والداها يعملان في مطعم صغير أنشأه بما أدخراه من نقودٍ بقيت لهما بعد بيع كل ما يملكانه في العراق من منزل وأثاث وعقار.... كانت (سارة)، وهي الأخت الصغرى، ولها أخٌ أكبر هو (سمير) وأختٌ وسطى، أسمها (سهى).... ولما أستوطن والدها بلاد الغرب، أنجبا أخاً أصغر منها أسمياه (سعداً).....

لقد عاشت (سارة) في ولاية (متشيغان) الأميركية، كاية مواطنةٍ أصلية، فسرعان ماتعلّمت اللغة الأنكليزية واندمجت مع أقرانها في المدرسة.... كانت هنالك ذكرياتٌ بعيدة تطوف في لاوعيتها عن أزقةٍ وشوارع (الشواكة) حيث كانت تسكن من قبل مع والديها.... لم يترك الوالدان لغتهما الأم وكانا يتكلمان مع الأولاد بها داخل المنزل، ولذلك بقيت (سارة) تتكلم العراقية بطلاقة، مثلها مثل طلاقها في الأمريكية....

أصبحت (سارة) شابةً مكتملة الأنوثة، في سنّ الرابعة عشر، وبدأ زملائها في المدرسة يحاولون التقرب منها. لكنّها وبحكم تربيتهما الشرقية الصارمة، والدينية الملترمة، كانت تُبعدهم عن طريقها دوماً، أمّا بصدّ نظراتهم أو عدم التحدث معهم رغم محاولات العديد من أوسم طلاب كل مرحلةٍ في الثانوية _ بعد الرابعة عشر _ التقرب أو التودّد لها..... حتى سُمّيت بـ(المعدّة).....

شعرها الأسود الطويل وعيناها الزرقاوان بلون غامق وبياض وجهها الناصع وقدّها المشوق مع طولها الفارع, كانت جميعها عوامل جذبٍ مستمر, خصوصاً في سنوات المراهقة وفي بيئةٍ متفتحة,

لم تشبه بيئة منشئها الأولى, للجنس الآخر.....

لكنّها نجحت في وضع بصمةٍ خاصةٍ لها, فتفوقها في الدراسة وبالأخص في (مادة الأحياء), جعل الجميع يحترمها ويكنّ لها الأعجاب الخفيّ, علاوةً على أعجاب صديقاتها من أصل أمريكي بأخيها الأكبر (سمير) ومحاولتهنّ التودّد لها كي يخطي على فرصة الأعجاب بهنّ....

لقد سمّاهما الشباب في الثانوية (الأخوين الأكثر جاذبيةً على الإطلاق)

وكان سمير معتاداً على دخول المدرسة برفقة أخته الصغرى (سارة) وهو يضع يده على كتفها محيطاً ذراعه الأيسر بمؤخرة عنقها والجزء الأعلى من ظهرها, وكأنه يُرسل إشارات جسدية لجميع من ينظر إليها أنه؛ هذا أنا, وهذه أُختي, ولن أسمح لأيّ أحدٍ أن يلمس شعرةً واحدةً منها, هل هذا مفهوم!.....

كان يحيط ظهرها بذراعه وهو ينظر هنا وهناك متبختراً بطلّته البهية وطوله الفارع الذي يفوق طول أخته بقليل وعينيه اللتين لهما نفس لوني عيني أخته, تنتقلان هنا وهناك, وهو ينظر هذه الفتاة أو تلك, دون أن يتنازل قليلاً عن نظراته الاستعلائية وهو ينظرهنّ بسرعةٍ من طرف عينيه ويغضّ البصر سريعاً, كأنّه يرمي سهاماً في الفضاء الى أعلى السماء ويتركها تسقط عشوائياً بأيّ اتجاه!!....

شعره الأسود الفاحم, زاد جاذبيته ووسامته, وما زاد الطين بلّةً, أنّه لم يكن يتحدّث مع أية فتاة في الثانوية ولم تُعرف له صديقةٌ معيّنه!!.....

عندما دخلت (سارة) الثانوية, كان سمير في السادسة عشر بلغت الرابعة عشر, تهيأ (سمير) لعامه الأخير في الثانوية

أختها الكبرى (سهى), لم تكن في مثل جمالها, ولم تكن تهوي الدراسة, ولذلك قررت تركها ومساعدة والديها في المطعم.... وبسبب ذلك, توحدت الأواصر بين (سمير) وأخته (سارة), أكثر بكثير مما توطدت بين الأختين.....

كان (سمير) معجباً بفتاةٍ واحدةٍ في الثانوية.... وظلّ طيلة سنوات الدراسة يراقبها عن قربٍ وبعدٍ, كانت تلك الفتاة عراقية الأصل أيضاً, لاتصادق (الجنس الآخر), وتقضي أغلب وقتها في الدرس أو مع صديقات لها في الفرصة....

لقد أُعجب بها أيما أعجاب وتحول إعجابه مع الأيام والسنوات الى حبٍ وتيّم.... خاصةً بعد مابادلته نظرات الإعجاب وأشعرته أنّها لاتحبّ سواه, ولن تُدخل قلبها غيرهُ, بصداقتها لأخته على حين غفلةٍ وهي في الرابعة عشر, عندما قدّمت لها هدية عيد ميلادها, دون سابق أنذار, وباركت لها ذلك, وكأنها ضليعةٌ بتاريخ ميلادها وأيضاً (تاريخ أسرهة سمير كله)!!....

كان ذلك كلّه على مرأى ومسمعٍ من (سمير) الذي ظلّ يختلس النظرات لمحبوته وهو يتظاهر بالحديث مع صديقه متلاعباً بخصلات شعره السوداء الناعمة....

ولم يتم عامه الثامن عشر حتى تمّت خطبته رمياً من فتاة أحلامه..... فلقد صرح أباه بالأمر, ورحبّ الأب بذلك الحبّ وبنزاهةٍ ولده وصراحتِهِ معه, فذهب بنفسه يتحرّى و يسأل عن أهل البنتِ حتى عرف أصلهم وكونهم قد هاجروا من بلدهم الأم لنفس الظروف والأسباب تقريباً....

وذلك ما أسعد قلب الأب (حقاً) لأنّه وجد تقارباً طبقياً ودينيّاً ومذهبيّاً في كلتي العائلتين _ أي عائلته وعائلة الفتاة التي أرادها ولدهُ _ ولقد كانت تلك الفتاة لبنانية الأصل, تتبع نفس مذهب (سمير) الذي بعدما أهدت فتاته أخته هديتها في عيد ميلادها الرابع عشر, بدأت تتقرب من (سارة) شيئاً فشيئاً وتُكثر من أسئلتها عنه, وكذلك فعل الأخ الأكبر, الذي كان يجالس أخته في آخر الليل بعيداً عن مرأى ومسمع الوالدين, كي يستمع منها ويعرف عن طريقها, أي شيءٍ أو معلومةٍ, تتعلق بفتاته..... وبهذا الشكل, أصبحت (سارة) حلقة الوصال بينهما, دون أن تعلم,

وحتى بعدما علمت، لأنها سَعِدْتُ أَيّما سعادةٍ بحبِّ أخيها لصديقتها الجديدة، تلك التي سرعان ما دخلت منزل والديها بصفةٍ رسميةٍ كزوجةٍ أخيها الأكبر..... لم يستطيعا إكمال دراستيهما الجامعية، لأنها رزقا بطفلةٍ في عامها الأول من الزواج، وبسبب حمل زوج أخيها السريع، لم تستطع الفتاة أن تعمل كي توفي قسط العام الدراسي الأول في الجامعة، حيث حلم كلاهما أن يكملا مسيرتهما سوياً، فما كان من القدر إلا أن رسم لهما درباً آخر ليسيرا فيه، وسرعان ما ألفا (سمير) نفسه، عاملاً في مطعم أبيه الى جوار أخته (سهى) كي يسدّ متطلبات نفقات الطفلة القادمة، علاوةً على مصاريف زوجه التي أُستجِدّت عليه، لكنّه كان سعيداً بذلك أيّما سعادة، وكذلك زوجته، وسرعان ما نسيا حُلْمَ إكمال دراستهما الجامعية، برويةٍ وجه تلك الطفلة الصغيرة الجميلة التي حملت صفات والدتها الخارجية، بعينيها اللوزيتين وشعرها البندقي وبشرتها الخمرية الناعمة.....

كانت تلك عائلة (سارة) التي أستوطنت (ديربورن) التي تقع في مقاطعة (وين) بولاية ميشغان في الولايات المتحدة والتي تعدّ من ضواحي (ديترويت)، عاصمة صناعة السيارات الأميركية وفيها يقع المقر العالمي لشركة فورد..... لكنّ (سارة). لما قررت الدراسة الجامعية، كانت قد اختارت جامعة (ميشيغان_ أن_ آربر)، لأنها من الجامعات العريقة ومن أشهر الجامعات في التخصصات العلمية كالهندسة والطب والإدارة، ولأنها أختارت تخصص الطب، فقد أختارتها رغم بُعدها النسبي عن محلّ سكن أهلها، وأضطرارها الى استئجار سكن يتراوح سعره ما بين 600_800 دولار أميركي، قرب حرم الجامعة.....

إنّ المسافة على طول الطريق ديترويت_ أن آربر ميشيغان تقدر بـ(42 كم)، بما يعادل 69 ميل، كانت (سارة) تفضّل قضاءها عبر مترو الأنفاق كي تقلل من مصاريفها، كونها قد أثقلت على أهلها بمصروف إيجارها وجامعتها وكل ما أستلزمها كي تكون إحدى طالبات تلك الجامعة العريقة، التي لطالما حُلْمْتُ أن تدرس الأختصاص الذي أحبّته بها.....

لقد شجعها (سمير) كثيراً معنوياً ومادياً, ووضع يده مرتباً فوق كنفها وهو يحمل صغيرته باليد الأخرى وكانت إنداك_ وقت دخول ساره الكلية أول مرة_ في عامها الرابع, ذاك أن (سارة), رغم محاولتها (تجميع) مبلغ مالي خلال عام كامل بعد مغادرتها الثانوية, إلا أنها لم تستطع تحصيل المال الكافي لدفع قسط الدراسة في جامعة (ميشيغان_ أن_ آربر) وكذلك استئجار سكن قرب الحرم الجامعي....

عندما استقلت (سارة) قطار المترو في تلك الليلة, وهي تحمل حقيبة سفرها, عائدةً من رؤية أهلها في عطلة نهاية الأسبوع, استذكرت بكل سعادةٍ آخر سفرةٍ لها معهم وكيف قضت وقتاً رائعاً مع أخيها (سمير) وزوجه وطفلتها الوحيدة في تلك العطلة..... كانت زوجة أخيها قد أعدت لها مفاجأة في زيارتها الأخيرة تلك, إذ وجدت أنها تنتظر قدومها بفارغ الصبر كي تذهب الأسرة بكامل عدد أفرادها الى قرب بحيرة (سوباريو), حيث قضى الجميع أوقاتاً رائعة بين أحضان الطبيعة الغناء, برفقة ابنتهم وأختهم الصغرى (سارة), مدللة العائلة كما كانوا يحبون أن يسموها..... فحتى أخوها (سعد) الذي يصغرها بأعوام عشر, لم تكن له خطوة (الدلال) التي كانت لها عند أسرتها, ولم يكن أحدٌ يعلم السبب الرئيسي لذلك..... لعلّه جمال قسمات وجهها, وبراعة سحننها ونظراتها الطيبة الحنونة, أم لعلّ السرّ كان في غنجها ودلالها وهي تتحدث دونما شعور, وكان لها سحراً خفياً تلقّيه على المتحدث معها ما أن تنطق ببنت شفة....

أغمضت (سارة) عينيها (الزرقاوين), بزرقه بحر لجي عميق وأستسلمت لذكريات سفرتها (الليذة) مع أسرتها وهي تنظر الى الطريق عبر النافذة وأعمدة السكة تمرّ تباعاً ملقيةً بظلالها الغامقة المعتمة على طول الطريق.... لقد تجنبت (سارة) أغلب الأوقات السفر في الليل في مترو الأنفاق_ لأنها كانت تخاف في تلك الأوقات من المجرمين والسراق المنتشرين بشكل أكبر في ولايتها وحيث سكنت مع أهلها في (ديترويت), لكنّ سفرتها مع أهلها سرقت الوقت منها وكان لزاماً عليها العودة الى الحرم الجامعي في صباح الغد, ولذلك أظطرت السفر ليلاً....

ألحّ (سمير) عليها, أن يرافقها, لكنّ خوفها عليه_ أن يتقل السفر كاهله بزيادة المصاريف_ دفعها الى رفض عرضه ذاك, رغم أن قلبها كان يخفق بقوةٍ وخوف ما إن يمرّ رجلٌ ما قربها, لأنها كانت تخشى أن يكون مجرمًا أو سارقاً ما....

فجأة, وبينما كانت تنظر عبر النافذة, إذلفت أنتباهها صوت طلاقات رصاص عبر الباب التي جلستُ أمامها....

كان بجوارها رجلٌ مسنٌ, تكهنت أنه في الستينات من عمره, بينما لم يشغل المقعد المخصص لشخصين قبالتها أيّ شخص.....

وكان العمود الممتد المقابل لها منتصباً أمام عينيها اللتين تعلقتا به وقلبا يخفق ذعراً.... نهضتُ والتفتت. لم يكن في مقصورتها تلك سوى بعض الأشخاص الذين ارتعبت وجوههم عند سماع صوت العيارات النارية, رمت (سارة) نفسها فوق المقعد ودَفَنَتْ رأسها بين ساقيها رعباً, عند تكرار الصوت, وفجأة, رفعت رأسها وهي تضع يديها فوق أذنيها, تنظر تلك الباب المؤدية الى مقصورتها, وذاك العمود المنتصب أمامها, وإذذاك. أرتعدت فرائضها ذعراً وأخذت ترتعش رعباً, لأنّ العمود كان منقوعاً بلون أحمر دام, وفوق المقعد الذي تبع قبالة مقعدها حيث جلست هي بجوار العجوز, ارتمى شابٌ أشقر الشعر طويل القامة يرتدي معطفاً أسود وقفازات سوداء, بينما تسيل الدماء عبر معطفه فوق المقعد وتقطر على أرضية المقصورة.... كتمت (سارة) صرخة رعب وذعر وشعرت أنّها قد تجمدت في مقعدها, عندما صاح الرجل العجوز وهو ينهض لما رأى الشاب, بينما لم يحرك أي شخص آخر ساكناً.....

_ ألا يوجد طبيبٌ هنا! إنّه لا يزال حياً.....

أعاد ذلك النداء المتكرر من الرجل العجوز وعي (سارة) لها. ونظرت مرةً أخرى الى ذلك الشاب الممدد فوق المقعد أمام عينيها.....

إنتفضت, ونهضت بشجاعةٍ لم تعهدها في نفسها, وكأن كلام الرجل عن وجود (طبيب) قد مسّها شخصياً, رغم أنّها لم تكن سوى طالبةٍ في المرحلة الثانية في الجامعة....

رفعت معطف الشاب عن خاصرته, فوجدت أنّه قد أُصيب بطعنةٍ من سكينٍ حادٍ أدى الى نزيفٍ قويّ, بينما نظرت الى نزيفٍ آخر من ظهره, حيث كتفه الأيسر قد أُصيب بعيارٍ ناري.....

كان يجود بنفسه, فتح عينيه بصعوبة, فاندثشت (سارة) لشدةٍ وسامته. وكانّ تلكما العينين اللتين تلوّنتا بلون السماء الفيروزي قد أصابت قلبها بسهم (كيوبيد)..... أخذ يردد بصوتٍ خفيضٍ وهو يجود بنفسه.....

_ أرجوكِ.... لا تأخذيني الى المشفى! سوف يقتلونني هناك!

سَمَعَتْهُ بصعوبةٍ وهي تقربُ أذنها من شفّتيه, لأنّ صوته كان لاهناً متقطعاً.... رفعت رأسها مندهشةً بعد سماعه, حارتُ جواباً, لكنّه دخل في غيبوبة فلم تعد تستطيع التحدث معه بشيء.....كانت في تلك الأثناء قد قامت بالأسعاف الأولى لجرحه الذي تعرض له بطعنةٍ السكين في خاصرته, عندما أعلن عن وصول المترو الى منطقتها, حيث شقتها التي أستأجرتها مع تلك الفتاة الغربية عنها.... نادّت في الناس القلائل خلفها في تلك المقصورة...

_ ألا يوجد أحدٌ ما يمدّ يد العون لمساعدتي على حملي!!

كررتِ النداء مرتين بصوتٍ متهجٍ وهي ترى أمامها كمية الدماء التي فقدها الشاب المسكين, عندما نهض رجلٌ أسود اللون قويّ البنية, وقال بصوتٍ حازم....

_ حسنٌ, هل أنت طبيبة!

ترددت (سارة) لثانيتين قبل أن تعلن بصوتٍ واثق....

_ نعم.... أنا طيبة ومحلُّ سكناي قريب.... فقط أحتاج الى من يحمل هذا الرجل
المسكين كي أُعالجه قبل أن يموت....

_ لكِ ذلك.....

قال الرجل وهو يقترب من الشاب, ليحمله فوق ظهره وكأنه (صندوق) ما!!
أو قطعةً من الأثاث!!.....

وضع الرجل الأسود ذلك الشاب في سيارة أُجرة وهو يلتفت يميناً ويساراً, وقال
هامساً لسارة

_ ألم يكن من الأفضل لكِ أن تأخذه الى المشفى!!

نظرت (سارة) الى الرجل بدهشة وقالت بصوت قاطع:

_ لقد سمعته يقول أن ذهابه للمشفى سيجعلهم يتبعونه ويقتلوه, وذلك كل مافهمته
منه...

_ إذا! كوني على حذر كي لاتنتبه الشرطة.... إذهبي بسرعة....

أسرعت ساره بالجلوس قرب الشاب في سيارة الأجرة بينما مدّت يدها الى
محفظتها لتخرج الأجرة وتخبر السائق عن محلّ سكنها وقلبها يخفق بقوة وأخذت
تحدث نفسها وهي تنظر الى الرجل المغمى عليه بجوارها (وقد نرعت عنه
معطفه في القطار وألبسته معطفها بعد أن وضعت ضماداً يمنع النزيف بشكل
مؤقت على خصرته, وكانت قد لفتّ جرح كتفه بلفافٍ رقبتة الذي كان يرتديه كي
تمنع النزيف كذلك حتى وصولها الى شقتها المشتركة.... وهناك صرخت زميلتها
في السكن بلُغتها (الأم) التي لم تفهم (سارة) منها شيئاً, كونها صينية (الأصل):-

_ من هذا بحق السماء!! مالذي يفعله هنا!! سأتصل بالشرطة!!

نظرت (سارة) الى شريكها بتوسل وحدثتها بالإنكليزية , لأنها فهمت في النهاية
كلمة (شرطة)! وذلك معناه, التورط في مشاكل لانهاية لها....

_ أرجوك! لقد سقط أمام عيني في المترو, ولا أحد يُسعفه, أريد مساعدتك كي أستخرج الرصاصة في كتفه!

_ ماذا!

صرخت بالإنكليزية تلك الفتاة الصينية, لكنها سرعان ماأنصاعت لما قالته سارة لها وهي ترى سارة تجود بنفسها لتضع الشاب فوق سريرها, فقامت الأخيرة بمد يد المساعدة لتحمله معه وتضعاه فوق السرير سويةً.... نظرنا الى بعضهما البعض لثوانٍ وعندها شكرتها (سارة) ثم قالت لها بنبرة صارمة أن تجلب لها عدتها التي أشترتها لأجل التدريب في درس التشريح في الكلية.... وبدأت الأثنان بإسعاف الرجل دون تدخل طرفٍ ثالث!

سهرت سارة طول الليل ولم تتم حتى أتمت أستخراج الرصاصة, وخطاطة الجرح- كجراحة ماهرة!! وبقيت الفاتاة الصينية تنظر إليها بدهشة طوال عملها, وأخيراً, نطقت بسؤال استنكاري:

_ من أين تعلمتِ كل ذلك؟؟

_ حسن!

قالت سارة وهي تضمّد الجرح بعد خياطته وتعقيمه....

_ أعتقد أنني كنت طالبةً جيدة في درس البروفيسور (البرت) العملي, أو ليس كذلك؟!

قالت ذلك وهي تغمز صديقتها التي أبتسمت موافقةً....

_ حسناً! أعتقد إنه بحاجةٍ لبعض الدم! أتعرفين نوع دمه!

_ كلا!

صرّخت (سارة) بدهشة, فقالت الصديقة...

كان وجهه فاقعاً وكأته في عداد الموتى, شاحباً للغاية, أبيض فاقعاً.... وكانت (سارة) ترقبه كل حين وهي تقف قرب العمود المعدني ذي العجلات المتحركة, تقيس نبض قلبه عبر رسغ يده الأيسر وتلمس رقبته لتتأكد من نبضات قلبه, لأن خوفها كان مضاعفاً, أن تكون سبباً في موته بعدم الذهاب به الى المشفى بدلاً من شقتها المتواضعة الأماكن الطبية...

وبينما كانت (سارة) تتابع نبضات قلب ذلك الشاب كل حين, وتتغرس في أنبوبة الدم المعلقة الى جوارها, إذ لاحت منها التفاتة الى قسمت وجه الشاب الملائكية وكأنها خطت بيدٍ فنانٍ, فذلك الأنف المستدق والوجنتان الغائرتان, قد رسمتا بعناية فوق وجهه الأبيض الفاقع البلوري, حاولت إبعاد عينيها, لكنّها تعلقتا بدينك الحاجبين الأشقرين وقد خُطاً فوق جفنيه بشكل زاد جمال وجهه وسامةً وبهاءً....

عادت بسرعة لتبعد ناظريها عن وجهه وهي تحاول الانشغال بكيس الدم المعلق في الأنبوبة فوق العمود...

__ حسناً, أُن تذهبي الى الجامعة, أم ماذا؟

هتفت الصديقة الصينية, فالتفتت (سارة) بسرعة و قد دُهلّت من سؤال الصديقة, فأجابّت بجفول....

__ حسناً!! كلا! لن أستطيع القدوم, سأخذ المحاضرات منك.... لا أستطيع ترك هذا الشاب بمفرده.... أشعر أنني مسؤولةً عنه بشكل ما, لأنه أستنجدُ بي....

__ حسنٌ إذاً! وداعاً!

هتفت الفتاة قبل أن تصفق الباب خارجةً من الشقة....

كانت شقةً مكونة من غرفة وصالة ومطبخ, كان هنالك سريران في الغرفة غير متلاصقين تفصل بينهما نافذة صغيرة تتدلى منها ستارة أرجوانية اللون وقد تشكلت على شكل ربطة عنق في أعلاها, وأسفل النافذة منضدةً مشتركة بين السريرين

وضعت (سارة) فوقها معداتها الطبيّة لعلاج الجريح المائل أمامها... وضعت كرسيّاً قرب سريرها, حيث رقد الشاب الجريح, وجلست ترقبه وهي تدعوا الله أن يكون بخير.... مرّت ساعةً قبل أن تجد نفسها قد نامت وهي فوق المقعد, فنهضت لتستلقي فوق سرير صديقتها وعيناها معلقتان بقطرات الدم السائلة عبر الأنبوب ... مرّت سويّعات عده وهي لا تزال نائمة, عندما نهضت فزعة بسماعها صوتاً غريباً ينادي.... فتحت عينيها لترى الشاب ينظر إليها باستغراب وهو يردد.....

_ أين أنا؟ من أنت؟؟

حاول النهوض, لكنّ صرخة ألم قويّة دفعته للعودة إلى وضعة السابق.... أمسك كتفه بيده اليمنى.... نظر إلى (سارة) بامتنان....

_ أنت أنقذت حياتي شكراً لكِ....

_ كلا! لا شكر على واجب.....

تمتتمت (سارة) بخجل وهي تتحاشى النظر إلى عيني الشاب اللازورديتين... كان شعره الأشقر طويلاً وقد انسدت خصلاته الناعمة فوق كتفه وعلى الوسادة أسفل رأسه.... ألقت نحو (سارة) ونظر إليها نظرة استنكار.....

_ لكنّ.... هل عثرت على.... هل وجدت في ثيابي....

وصمت ناظراً الى (سارة) بتوجس, فنهضت سارة من فوق سرير صديقتها حيث جلست لما سمعت أنين الشاب وصوته عندما استيقظ, أقول, نهضت لتذهب الى درج ثيابها فتفتح درجاً من الأدراج وتستخرج شيئاً ما ملفوفاً بقطعة قماش, قدّمته نحو الشاب وهي تقول....

_ حسنٌ, هذا هو مسدسك.... لقد احتفظت لك به....

رفع الشاب عينيه المندهشتين نحو (سارة) وقال باستهجان....

_ أولم تخافي منه! أو تتساءلي من أعطاني إياه!؟

_ كلا! ولمّ الخوف؟

_ لمّ لمّ تذهبي بي الى المشفى! أنتِ طبيبة!؟

قال مستعلماً وهو يتلفت يميناً ويساراً وينظر عدتها الطبية وعمود الدواء الذي عقلت (سارة) له به كيس الدم.... ركّز نظراته عليها أخيراً وهو يتناول المسدس بيد واحدة لأنّ ذراعه اليسرى كانت تؤلمه بسبب إصابته في الكتف بذلك العيار الناري

_ أنت من طلبت مني عدم الذهاب بك, أولاً تذكر!؟

ردّت (سارة) باستهجان, وتابعت.....

_ لقد قلت لي أنهم سوف يتابعونك ويقتلونك....

تمتمت وهي تَعْضُّ الطرف وترخي أهدابها السوداء فوق عينيها الزرقاوين

_ شكراً لك....

هتف بصوتٍ كلّه عرفان لها, وهو يتناول المسدس ليّدسه تحت وسادة (سارة) أسفل رأسه.... تابعها بنظراته, كانت قد أخذت علبة دواء من فوق المنضدة قرب سريرها, وصبّت بعض الماء في كأس زجاجي قدمته له مع حبة دواء وهي تقول:

_ يجب عليك تناول هذا الدواء, ولسوف أذهب لصنع بعض الطعام لك كي تستعيد عافيتك..... ويجب عليك الألتزام بالغذاء والدواء كي تستطيع النهوض على قدميك مجدداً, فجرح خاصرتك عميق وتلك الرصاصة التي أخترقت كتفك وأستقرت فيه, جعلتك تنزف الكثير من الدماء....

وأنا سأحاول جلب أدوية ومضادات حيوية من صيدلية قريبة حالما تصل صديقتي وزميلتي بالسكن في هذه الشقة....

نظر الشاب إلى (سارة) بدهشة وتساءل وهو ينظر إلى السرير المقابل لذلك الذي رقد فوقه:

_ ولكنْ.... أليست هذه شفتك؟ هل أنتِ طالبة هنا إذا!

إستعلم وهو ينظر بدهاء إلى (سارة) التي دهشت لسرعة بديهته....

_ نعم! أنا طالبةُ طب في المرحلة الثانية.... ولكنْ....

وقبل أن تنهي (سارة) جملتها الأخيرة, باغتها الشاب بسؤال مفاجئ....

_ لماذا ساعدتني؟ لقد تحملتِ مسؤوليةً كبيرة.... أنا, أنا حقاً مندهش! كان هناك في المقصورة عدة رجال, ولم يساعدني أحدٌ منهم, إلاك.... هل لي أن أسأل لماذا؟!

قال ذلك وهو يركز نظراته اللازوردية عليها, فأحمرت وجنتاها وقالت بغضب مشوب بالعتاب....

_ أو لست إنساناً! لقد استغثت بي! قلت لي ألا أذهب بك الى المشفى خوفاً من لا أعلم من يكون أولئك الذين فعلوا بك ما فعلوه.... لكنك, طلبت مساعدتي, وماكان يجبُ عليّ تركك...مضرباً بدمائك... لتموت وحيداً على مقعد في مترو أنفاق كئيب.... هل ذلك ماتريده؟!

دُهِش الشاب وانعقد لسانه لثوانٍ وأطرق بنظراته إلى الغطاء الذي دثرته (سارة) به, تحدثت (سارة) بعصبية ولذلك تضرجتِ الدماء في وجنتيها فزادها ذلك جمالاً وجاذبية دون أن تدري....

رفع الشاب عينيه بعد برهه بينما تنفست (سارة) بعمق كي تهدأ, قبل أن تستدير لتذهب نحو المطبخ وتجلب الطعام له, قال:

_ لكنْ.... أو لاتخشين مني!!.... أن أكون قاتلاً مأجوراً مثلاً, أو هارباً من السجن, أو فاراً من العدالة.... أو لاتخشين ذلك كله! أتسعت صدقتا عيني (سارة) رعباً ودهشةً من تلك التساؤلات ولم تعد تدري بم تجيب... لكنها عقدت ذراعيها فوق صدرها بعد لأي وقالت بحزم:

_ كلا!... أهمّ شيء هو أنني لم أفقد إنسانيتي عندما طلبتّ العون مني, ولم أتركك خلف ظهري, أمّا إن أردتّ مجازاة عملي هذا بفعل شيءٍ سيءٍ لي, فذلك الأمر يعود لك وحدك, وبالنسبة لكونك مجرماً سابقاً أو قاتلاً مأجوراً, فأعتقد أنّ الأمر ليس من شأنِي.... أهم شيء, إنك على مايرام, وأني, والله المشتكى, قد أنقذتُ حياتك....

قالت (سارة) ذلك وكأنها تحدث نفسها وتركت الشاب لتذهب نحو المطبخ بخطوات واثقة, ولكنّ فيها من العصبية شيء....

عندما عادت الى غرفتها حيث تركت الشاب مندهشاً من ردة فعلها,

وجدته يجود بنفسه ليحاول النهوض, فهرعت إليه وإناء الطعام بين يديها, وضعته على المنضدة وهي تقول بصوت مرتعش

_ لماذا تحاول النهوض! جرحك سوف يفتح! كلا! عليك المكوث في السرير!

_ أرجوك!! أريد النهوض! أنا لا أحبّ أن أكون ثقلاً على أحد.... لقد أنقذتِ حياتي, ولن أوفيك حقك من الشكر على ذلك, ولكنّ..... أرجوك دعيني أذهب, فقط.... أريد منك استأجار سيارة لي, كي أذهب....

_ كلا! ذلك لن يكون!! سوف يلتهب جرحك ويفتح....

سيذهب تعبي سدىً, وأنا التي تركت كليتي ومحاضراتي !!

لن تفعل, أرجوك.... عدّ الى وضعك السابق واستلق مجدداً....

دعني أضع لك وسادةً أخرى لأجل كتفك المصاب خلف ظهرك, هكذا, نعم! أنت على ما يرام الآن....

قالت (سارة) ذلك وهي تضع الوسادة له خلف ظهره فالتقت عيناها بينما كان وجهها قريباً منه.... لقد كانت نظراته تفيض عرفاناً وإعجاباً بها, لكنها سرعان ما غضت بصرها, وأسرعت بالنهوض لتجلس حاملاً وعاء الطعام قربها....

_ دعني أضعك الآن....

قالت بنبرة أمره.... نظر الشاب لثوانٍ نحوها وهو يحاول أن يعبر لها عن شكره بنظراته الممتنة, لكنها لم تنظر إليه بعد اللقاء نظراتهما قبل برهة, ومدت يدها تحمل الملعقة لتضع الطعام في فمه, فتطعمه كما لو كانت تطعم أخاها الأصغر (سعداً)!!

لم تنظر إليه قط وهي تطعمه بينما لم يرفع (هو) نظره عنها وهو يتناول الطعام من بين يديها, وألف سؤال وسؤال يدوران في ذهنه...

دخلت صديقتها فجأة ورأتها على ذلك الحال فصاحت بسعاده:

_ أها! لقد نهض الشاب وكُتب له عمرٌ جديد.... حمداً لله!

_ شكراً لكِ فلولا أكياس الدم, لما استطاع النجاة....

_ شكراً لكِ!!

_ قالت (سارة) متداركةً ارتباكها ففعل الرجل مثلها إذ هتف الشاب وهو يبتلع لقمته الأخيرة التي تناولها من بين أنامل (سارة) والتي نهضت فجأة لتعلن عن احتياجها للنوم في الصالة فوق الأريكة, فأخذت وسادةً وملحفاً وذهبت نحو الصالة لتنام فيها....

وقبل أن تذهب, هتفت بصديقتها (جوان)....

_ أرجوك, راقبي الشاب, لا أريده أن ينتكس مرةً أخرى...

_ لا بأس, لا تبالي....

هتفت (جوان) وهي ترمي نفسها فوق سريرها المجاور لسرير (سارة) حيث استلقى الشاب الجريح....

النفقت (جوان) نحو الشاب بعد أن ارتدت ثياب النوم الكاشفة عن ذراعيها وجزء كبير من ساقها, لتقول بجرأة أخرجت حتى ذلك الشاب....

_ هل أنت مرتاحٌ بالنسبة للأنبوب الذي وضعته سارة لأجل إدراك؟

إحمرت وجنتاه خجلاً واستحياءاً من ذلك السؤال, لكنه لم يُجب بأكثر من تحريك رأسه دلالة الموافقة.... لم تبالِ (جوان) بإحراج الشاب وتابعت وهي تتلمس بشرة ساقها الشبه عاريتين بأناملها الطويلة بينما أنسدل شعرها الأسود الفاحم القصير فوق وجنتيها البيضاوين وعقدت تلك الغرّة الناعمة فوق جبينها صلحا غير متفق عليه مسبقاً مع حاجبيها الرفيعين اللذين أحاطا أعلى تلك العينين السوداوين....

_ حسناً! لقد ساعدني صديقي الممرض على جلب هذه الأدوات بأقل تكلفة وأسرع وقت....

لستُ أدري لحدّ الآن من الذي سيدفع تكلفتها, لكنني متأكدةٌ وعلى يقين, أنها ليستُ أنا بالطبع!!

أستعت حدقا الشاب دهشةً وهو يستمع لما تقوله تلك الفتاة الشريكة بالسكن (سارة).....

تردد للحظات قبل أن يُعلن قائلاً:

_ أنا سأدفعها كلّها لَمّا أستطيع الخروج والذهاب إلى منزلي....

_ لكن! من أنتَ وأين تسكنُ أيها الغريب؟؟

_ هتف (جوان) بفضول, عندما قطعت (سارة) محادثتهما وهي تحمل الهاتف الخاص بشقتها وعلامات الغضب تعلو وجهها....

_ جوان! أرجوك, أريد النوم قليلاً! هذا الأتصال لك من أهلك ياعزيزتي!

_ آه! حقاً.... حسنٌ, حسنٌ.... أعطني الهاتف!

والدتها.... و عدتها (سارة) أن تنسخ لها جميع محاضراتها التي سيفوتها شرحها, وأنها سوف تبذل جهدها لمساعدتها بها..... تشكرت (جوان) من (سارة) وذهبت نحو خزانة ثيابها لتخرج أغراضها وتعدّها وترتيبها في حثيية السفر.... ساعدتها (سارة) رغم نعبها متناسيةً نومها, لأنها لم تستطع ترك زميلتها وشريكة سكنها وهي في تلك الحال

ودّعتها (سارة) في المساء واعتذرت عن عدم الذهاب معها الى المطار لعدم قدرتها على ترك (مريضها) بمفرده في شقتها, فابتسمت (جوان) بصعوبة وهي تحتضن صديقتها وقالت لها وهي تهمس في أذنها

_ أعتني بنفسك وكوني على حذرٍ من هذا الشاب, فأنتِ لا تعلمين ماذا يختبئُ خلف هذا الوجه الوسيم.... وداعاً صديقتي.....

_ إلى اللقاء, و اعتني بنفسك أيضاً, أرجوكِ.... أتصلي بي.....

_ حسناً.... سأحاول الأتصال.... كوني بخير.....

وافترقنا.... شعرت (سارة) فجأةً بخوفٍ خفي كونها ستبقى مع ذلك الشاب تحت سقفٍ واحدٍ وهي لا تعرفُ عنه شيئاً, وعادتْ كلماته ترنّ في ذهنها, بأنه من المحتمل أن يكون قاتلاً, أو مجرماً هارباً!! إرتعدت فرائضها ذعراً لمجرد التفكير بذلك.....

عندما دلفت غرفتها المشتركة مع زميلتها, وجدت الشاب نائماً فتنفست الصعداء وذهبت نحو الصالة لتنام على الأريكة, لكنّ أنينه في منتصف الليل, أيقضها في نومها ورغم نعبها الشديد, حملت نفسها لتري ماذا جرى له....

عندما دلفتْ غرفتها وجدته وقد سقط على الأرض وعلى جهة كتفه المصاب, فأطلقت صرخةً مكتومة وهي تشغل المصباح الكهربائي بكبسة زر فوق الجدار...

هرعت نحوه, ودفعته بشقّ الأنف من فوق الأرض, بينما حاول هو مساعدتها بأستناده على ذراعه اليمنى....

_ لماذا حاولت النهوض, ألم أقل لك ألا تفعل ذلك!!؟

هتفت (سارة) بغضب مكتوم, وهي تنظر إلى جرح كتفه بقلق....

_ لقد سئمتُ النوم في الفراش, أنا لستُ معتاداً على هذا أبداً ولا أريد أنوباً لأقضي حاجتي! منتٌ فقط أريدُ الذهاب الى دورة المياه.... لم أشأ إزعاجك, أنا جدُّ آسف..... (قالها وقد أحمرت وجنتاه إحراجاً) وقد هتف الشاب مطرقاً وهو يبعد نظراته عن (سارة) قدر الامكان, فدهشت (سارة) من ردة فعله, وحال بينهما صمتٌ رهيب, قطعهُ أخيراً صوتها وهي تُعلن بعد معاينتها جرح خاصرته وكتفه....

_ حمداً لله.... لم يحصل شيء ما لجرحيك العميقين.... أرجو منك التزام الفراش, ريثما تتماثل للشفاء.... والأمر بيدك, كلما هدأت, وقمت بما أقوله لك, فستسرع في شفاءك وإلا.... فأنت تسعى إلى موتك دون شك... رفع الشاب نظراتها نحو (سارة), وتعلقت عيناها للحظات ببعضهما, تهدج صوته وهو يحاول شكرها, لكن الكلمات ماتت عند شفثيه.... نهزت (سارة) وتركته للحظات, شعر معها, أنها الدهر وهو ينظر إلى السقف مائلاً بجسده ناحية اليمين بسبب إصابة كتفه الأيسر بالعيار الناري, (ولحسن حظه), أو ربما سوئه, فلقد كانت طعنة السكين في خاصرته اليسرى أيضاً وذلك ماسمح لم أن يستلقي على جانبه الأيمن ليتجنب الألم المضاعف عند احتكاك الجرح أو ملاصقته لأي جسم صلب كان أم ناعماً,

فجأة, فُتحت باب الغرفة مرةً أخرى ودلفت (سارة) منها تحمل وساندها وغطائها, فالتفت (الشاب) نحوها, وتظاهرت (هي) بأنها لم تره... وضعت وساندها فوق وسادة سرير صديقتها وتمددت بسرعةٍ فوقه موليةً ظهرها نحو الشاب الذي كان مائلاً باتجاه اليمين صوب سرير صديقتها الذي بات سريراً لها تلك الليلة... لقد شعرتُ (سارة) أن عليها عدم تركه وملازمة الغرفة كي لا يحاول عمل شيء (غبي) يضيق عليها تعبها كله ومافعلته لأجله كي يحظى بفرصة جديدة للحياة...

حاول سؤالها عن سبب مجيئها وتغيير مكان نومها, لكنّه لم يستطع.... هجره النوم وهو ينظر اليها مستلقيةً أمام عينيه, وقد غطّت في نومٍ عميق.... قفزت الى ذهنه عشرات من الأسئلة على تلك الفتاة التي أنقذته, لكنّه وبسبب مفعول الدواء المهدئ ورغم آلام جراحه غطّ في نومٍ عميق حتى شروق الشمس, عندما زال مفعول الدواء واستيقظ بسبب الألم وهو يئنّ دونما شعورٍ منه.....التفتت (سارة) نحوه وقد استيقظت بفعل أنينه, نظرتُ إليه بقلق, نهضت لتعطيه دواءه وهتفت.....

_ سوف أعدّ لك الفطور كي يقوى جسدك على تحمّل مفعول الدواء!

_ عادت (سارة) بعد نصف ساعة وهي تحمل الفطور للشاب الغريب, وقالت له مبتسمة....

_ سأتناول فطوري سريعاً معك, لأن عليّ الذهاب الى الجامعة.....

قالت ذلك وهي تضع الوسائد خلف ظهره وقد ساعدته على الجلوس فوق سريره, فشكرها بصوت خاشع وهو ينظر إليها بامتنان....

_ أعددتُ لك (أومليت) وشايًا..... هذه جبنه.... كلّ ما يُعجّبك.... هل تودّ. أن أطعمك....

_ كلا! لا داعي, سأستعمل يدي اليمنى.... أنا بخير.... شكراً لك....

_ أعتذر منك, لكنني في عجلة من أمري كي لا تفوتني محاضراتي.....

_ هل أنتِ جاده! علام الاعتذار... أنا الذي سببتُ لك كل هذه الفوضى..

قال الشاب وهو ينظر (سارة) بامتنان شديد.... أخذت (سارة) ثيابها من دولابها وذهبت خلف حاجز تبديل الثياب, وخرجت من خلفه بعد دقائق قليلة, لتقول للشاب بصوتٍ حازم....

_ أرجوك, لاتحاول النهوض أو عمل شيءٍ يؤذيك في غيابي... هل أعتد عليك في ذلك, هل تعدني....

قالت (سارة) ذلك وهي تناول الشاب كأساً من الماء وتعطيه بقية دوائه.... رفع
(الشاب) ناظريه إليها بدهشة, وقال أخيراً....

_ أشكر لكِ حرصك الشديد على سلامتي أنا لا أعرف كيف أردّ لك جميلك
آنسه (سارة)....

قال ذلك مشدداً لفظ (أسمها) الذي سمعه من صديقتها الصينية....

_ أراكِ بعد الظهرية آنسة (سارة)....

نظرت (سارة) إليه للحظات مندهشةً من لفظه لأسمها وهي تُخرج كتبها
ومحاضراتها معها من فوق مكتبها الموضوع في نهاية الغرفة.... التفتت إليه
أخيراً قبل أن تُغلق الباب....

_ سوف أطلب الهاتف قربك, في حال أردتُ الاتصال لأطمئنّ عليك.... هل
يناسبك هذا الأمر....

_ يناسبني!.... أنا جدّ شاكر لك....

هتف الشاب بصوت خفيض.... تابعت (سارة)....

_ سأعابن جرحيك عند عودتي من الجامعة.... أرجو أن لا تحاول النهوض
رجاءاً....

قالت ذلك وهي تحمل كيس الأدرار لتبدله بكيس آخر أخفته تحت الغطاء ألى جانب
السريّر, فشعر الشاب بالحرج وأطرق بنظراته...

_ شكراً لك....

هتف دون أن يرفع رأسه....

_ لا شكر على واجب....

صاحت (سارة) من بعيد وهي تصفق باب الشقة خارجةً نحو الحرم الجامعي,
تاركةً الشاب الجريح فوق سريرها وفي شقتها المشتركة, لوحده....

كانت (سارة) في ذلك النهار تشعر بشيء جديد وغريب ينتاب مشاعرها, وكأنّ فتاةً جديدةً ولدت في داخلها.... مشاعر (جميلة) أخذت تداعب أحاسيسها وشعرت أنها تودّ أن تنتهي المحاضرات بأسرع وقتٍ كي تعود الى مهجعها..... تساءلت في سرّها عن تلك المشاعر الجديدة, لكنّها كلّما أغمضت عينيها, أرسمت صورة وجه ذلك الشاب أمامها, وعيناه اللازورديتان تنظرانها بشكل خاص....

فتحت باب شقتها المشتركة.... دلفت الى الصالة محاولَةً عدم إصدار صوت قدر الإمكان كي لا توقظ الشاب, لكنها, لما فتحت باب غرفتها, إذ بها تجذُّ يداً تحيط فمها بينما يدٌ أخرى قد وجهت مسدساً الى رأسها, تجمّد الدم في أوصالها, عندما سمعت صوتاً لاهتاً من خلفها وهو يعتذر هامساً في أذنها بعد أن أبعد المسدس بسرعة.....

_ أعتذر منك أنسة (سارة).... أنا , ظننتُ أنهم أولئك الأوغاد الذين يلاحقونني...
ظننت أنهم قد عرفوا مكاني آه!

صرخ فجأة وهو يسقط على الأرض مستنداً بظهره إلى الحائط....

_ يا إلهي! هل أنت بخير....

صاحت (سارة) وهي ترى الشاب يجود بنفسه بينما وضع يده اليسرى على خاصرته وأسند اليمنى التي حملت المسدس على الجدار....

_ أعتذر منك أنسة (سارة) أنا خجلٌ للغاية....

_ لا بأس تعال لأرى جرحك الآن, هيا أستند عليّ... هيا إنهض بعد ترددٍ. وهو ينظر إلى (سارة) ويلهث بأنفاسه متألماً, وضع يده فوق كتف ساره محيطاً بذراعه مؤخره عنقها وأعلى ظهرها.... ز

إستند بيده اليمنى ليدفع نفسه للنهوض فصرخ بألمٍ رغم كلِّ محاولاته كتمان ألمه
وعدم الصراخ أمام (سارة)....

_ يا إلهي! لا بدّ وأنَّ الجرح قد انفتح..... هيا, خطوتان ونصل الى السرير, لأعين
جرحك..... تشجع رجاءاً.....

كتم ألمه وهو يعضّ على شفتيه بينما همهمة وزمجرة الألم تصدر من بينهما دون
أن يشعر.... أخذته سارة نحو السرير حيث جعلته يستلقي فوق معدته لتعاین له
جرح كتفه وخاصرته....

_ لو سمحت! إفتح أزرار قميصك العلوي كي أستطيع معاينة كتفك, سيدي....
_ سيدي!!! حسنٌ.... لك ذلك....

_ يا إلهي.... عليّ تعقيم الجرح وتضميده من جديد, لقد التهاب جرحك, لأنك لا
تبقى ساكناً أبداً.... دعني أرى جرح خاصرتك....

هلا فككت لي لو سمحت الحزام أو أرخيته قليلاً لأرفع القميص....

رفعت سارة قميص الشاب من أسفل طرفه, حتى وصلت الى مكان الطعنة, حيث
خيّطت الجرح بالأمس فقط.... صاحت بغضب...

_ لقد فُتحت عدّة غرز وعاد الدم ينزف من جرحك.... لقد قُلْتُ لك ألا ننحرك....

عضّ الشاب قماش الوسادة من الألم ولم يتكلم, لاحظت سارة ذلك وهي تعقم
الجرح وتخيّطه بعد وضع بعض المخدر عليه, لكنها استمرت بعملها بدقة وعناية
كي لا تفشل في علاجه....

نظفت جرح كتفه وأعدت تضميده, ولما انتهت, تركت الشاب منكفاً على وجهه
وهو يئنّ بصمت من شدّة الألم لتذهب وتغسل يديها وتعدّ طعاماً تأكله هي وإياه...

عادت بعد ربع ساعة, وأستخرجت ثيابها من الدولاب وذهبت لتبديل الثياب خلف
الحاجز الألمنيوني الصنع المليء بنقوش من ورد أحمر وأصفر... كان الشاب قد

عدّل وضعية استلقائه على السرير, ومال إلى يمينه بشقّ الأنف, وظلّ يرقب
(سارة) من طرفٍ خفي,

عندما خرجت من خلف الستارة الحاجزة, ولاحظتُ أنّه قد عدّل وضعه, ونظراته
موجهةٌ نحوها....

_ دقائق قليلة ويجهز الغداء.... أنا دوماً ما أسلق اللحم واحتفظ به في المجمدة, كي
أجده جاهزاً عند إعداد أنواع الطعام الذي أريده.... لا أعرف أن كنت تحبّ طعامنا
أم لا.... أعتقد أنني ثرثرت كثيراً....

قالت (سارة) وهي تشعر بالإحراج لتلك النظرات المستترة بين الفينة والأخرى,
عندما هتف الشاب بسرعة...

_ بالعكس! أنا سعيدٌ بهذه المحادثة, فقد مللت المكوث طيلة الصباح والظهيرة
بمفردي, أتألم من جرحي ولا أعرف ما أفعل...

ولكن... لم تقولين هذا... أنية (سارة), أم أقول.... (دكتورة سارة)...

تبادلت (سارة) والشاب النظرات وارتبكت بسرعة, فالتفتت ممسكاً مقبض باب
غرفتها متشاغلةً بفتحه وقالت....

_ كما تشاء, سيدي....

_ سيدي!.... أنتِ حتى لم تسأليني عن أسمي....

_ ليس من الواجب أن أسألك عن أيّ شيء لا تريد أن تخبرني به و ليس من
حقي ذلك....

قالت (سارة) ذلك واختفت خلف الباب لتخفي ارتباكها الشديد....

بعد ربع ساعةٍ أخرى, ظهرت (سارة) من خلف الباب, حاملةً صحناً من الرز
وصحناً من (مرق الباميه)....

وضعتها على المنضدة قرب مقعدها الذي جلست عليه بعدما حاولت مستعدة الشاب على الجلوس على السرير فوجدته يرفع نفسه بمفرده ويشكرها على محاولتها....

_ ما هذا الطعام؟!!!!؟؟؟

هتف الشاب بعد أن ناولته (سارة) ملعقةً من الرز الذي وضعت فوقه قليلاً من (المرق)....

_ ألم يُعجبك!!

هتفت بخوف ووجل, فنظر الشاب إليها بسعادة وقال مبتهجاً....

_ لم أذق طعاماً ألدّ منه... هل أنتِ من طبخته؟!

_ نعم!

هتفت (سارة) خجلاً وقد توردت وجنتاها خجلاً.....

_ إنها أكلة شعبية من وطني الأم علمتني أمي إياها.....

_ وطنك الأم! هل أنتِ مهجرة!!

تساءل بذهول, فردّت (سارة) بدهشة....

_ نعم! أنا لستُ أميركية في الأصل! أصولي عربية.... ولذلك قلت لك, لا أعرف إن كنت تحبّ طعامنا أم لا.....

_ من أين أنتِ بالضبط؟ ناوليني الصحن رجاءً بينما نتحدث, لأنه لذيذ.....

إحمرت وجنتا (سارة) وأطرقت خجلاً لثنائه على طبخها, رفعت عينيها بسرعة ثم أطرقت بها ثانية وهي تناوله صحن الأرز

الذي حمله بيده اليمنى, وأمسك الملعقة بيده اليسرى ليأكل منها وفي تلك اللحظة السريعة التي نظرت فيها إليه,

كانت نظراته مركزةً عليها وهي مطرقة خجلاً, ولقد شعرت (سارة) بنظراته
اللاهبة نحوها, فزاد أرتباكها.... لما أعاد الشاب سؤاله لها وهو يأكل الطعام....

_ لم تقولي لي من أين أنتِ.... ما هو وطنك الأم....

رفعت (سارة) رأسها لتتدرك أرتباكها ونظرت إلى عينيه مباشرةً....

_ من العراق.... من عرب العراق أنا....

تغيرت نظراته فجأةً الى نظرات دهشه, فتغيرت نظرات (سارة) المرتبكة الى
نظرات كبرياء واعتداد بالنفس....

_ وماذا بها بلدي الأم!!..... طبعاً أنتم الأميركيون, لاتحبون العرب, وتعتبروننا
إرهابيين....

_ أه! قفي, قفي! أنا لم أقل أي شيء....

انتفضت (سارة) واقفة....

_ لا.... لم تقل... لكنّ نظراتك تكلمت عنك....

_ هل أنتِ قارئة عيون ونظرات حضرة الدكتورة!

هتف الشاب بسخرية, فلم تجبه بشيء, غير أنها نظرت إليه بتوبيخ ولوم, وذهبت
نحو خزانة ثيابها لتخرج بعض الثياب وتخرج من الغرفة....

_ إلى أين.... أنسة (سارة)! ألن تأكلي معي! كنا نتحدث!

_ أريد أن آخذ حماماً دافئاً.... عن إيدك....

قالت ذلك دون أن تلتفت إليه وشفقت الباب خلفها بقوة خلفها....

كانت رائحة الطعام مغرية ومعدة الشاب فارغه... حاول أن يُبعد الصحن عن
متناول يديه, لكنّه لم يستطع إلاّ إنهائه كلّهُ, لأنه كان جائعاً جداً, ولأنّه أحبّ الطعام
الذي أعدّته.....

ولقد أراد المزيد, لكنّ (سارة) كانت غير متواجدة أمامه....

بعد عشرين دقيقة, ظهرت (سارة) من خلف الباب, وكان الشاب قد عاد للنوم على جانبه الأيمن عندما دلفت, فرفع نفسه وعاد للجلوس على السرير....

_ ألم تنم؟!!!

بدأت (سارة) الحديث, فقال الشاب بسرعة.....

_ لقد أردتُ أن أشكرك على الغداء....

_ آه! هنيئاً مريئاً!

هتفت (سارة) وهي تقترب من المنضدة لتتنظر الصحن, فتراه فارغاً, التفتت نحو الشاب باندهاش.....

_ هل! هل تريدُ المزيد؟!!!

_ لا أريد أن أشقّ عليكِ أو أزعجك لكنني كنتُ لا أزال جائعاً حينها.... الآن, لا بأس, لا أريد المزيد....

_ كلا, كلا! لا مشتتة في الأمر أبداً! سوف أصبّ لنفسي أيضاً لأنني لم أتناول طعامي بعد....

_ حقاً! إذا ستتناولينه معي.... في هذه الحالة.... سأكون سعيداً لو وضعتِ لي بعضاً من طعامك الشهوي, أنستي....

قال الشاب بسعادة, فارتبكت (سارة) متحاشية النظر إلى عينيه, أخذت الصحن بسرعة ودلفت الى المطبخ وهناك صاحت بنفسها وهي تكلم ذاتها بصوت مسموع.....

_ حمقاء! مابك؟! لماذا ترتبكين!! مالذي يجري لك!!!

ضربت وجنتها بيدها اليمنى مرتين وهتفت بنفسها....

_ كَفَى عن الحماقات..... إنّه مجرد شاب جريح, سيتمائل للشفاء ويرحل! لن تتعلقي به! إياك! كوني فتاة مطيعة أكيدٌ أنّ أمثاله لديهم عشرات الصديقات والمعجبات, هذا إن لم يكن متزوجاً أصلاً! أليس كذلك أيتها الغبية.... هيا.... أسرعي.... توقفت عن الكلام وذهبت لإعداد صحنى الطعام لها وللشاب....

تناول الصحن من بين يديها بسعادة عندما قالت له: تفضل, ولاحظ أنّها لا تنظر إليه بل تتحاشى نظراته فزاد فضوله ورغبته لمعرفة كُنه هذه الفتاة الخجولة الجريئة في آن معاً.....

_ حسناً.... كيف كان يومك الجامعي!!

رفعت رأسها بسرعة وعادت تتدارك النظر إليه بالانشغال بالنظر إلى صحن طعامها الذي أخذت تتناول فيه الرز المنقوع بمرق البامية.....

_ حسن! كان يوماً عادياً.... أخذتُ محاضراتي وعدتُ الى هنا!!

لا جديد في الأمر.....

_ مالذي تدرسينه في الكلية.... أعني, أعلم أنّه الطب, لكنّ قصدي هو الأختصاص الذي تودين أن تصبحي عليه في المستقبل؟

_ جرّاحة!!

هتفت (سارة) بسعادة وهي تنظر الى الشاب بكل ثقة فبادلها نظراتٍ كلّها إعجاب وامتنان في آن معاً, فاطرقت بسرعة.....

_ ما الأمر!

هتف الشاب....

_ ماذا! ما الأمر؟

قالت (سارة) دون أن ترفع رأسها.....

هتفت بنوع من الغضب وحملت صحنها الفارغ وهي تنظر إلي صحنه, فإذا به قد فرغ أيضاً فمدت يدها لتتناوله منه ونظرت إليه, فإذا به ينظرها بدهشةٍ شديده.....

_ هل قلتُ شيئاً أغضبك!! أولاً يجوز لي أن أقول عزيزتي!

_ أنا لستُ أختك ولا صديقتك ولا حبيبتك لتقول لي ذلك؟

هتفت (سارة) بصوتٍ واثق وهي تأخذ الصحن من بين يديه, فإذا به يشدّها من يدها بقوة ويجرها نحوه.....

_ لكنك منقذتي!! وبالمناسبة.... ليستُ لي حبيبه, ولا زوجة, ولا صديقة, ولا أخت أيضاً.... إن كنتِ مهتمةً بالأمر.....

ترك يدها, فارتدت إلى الخلف عبر مصدّقةٍ ما حصل معها للتو, نظرتُ إليه فإذا به ينظر إليها بنظراتٍ واثقةٍ مليئةٍ بالاعتداد بالنفس والكبرياء.....

_ إن قلتِ لي كيف جرّوت سَأُغادر الآن فوراً...

_ لن أقول شيئاً كفى.... سأذهب لأدرس!!

هتفت (سارة) بدهشةٍ وهي لا تعرف كيف تتصرف معه, أو بمَ تجيبه... لاحت منها التفاتةٍ نحوه قبل أن تخرج فوجدته يبتسم وهو يقول لها....

_ هلاً أعددتِ لي قليلاً من القهوة لو سمحتِ! لقد أشتقتُ لشرب كوب من القهوة!

نظرتُ إليه بدهشةٍ, هتفت في سرّها... يا له من معتدٍ بنفسه, لكنّها أحبّت ثقته تلك بذاته, ووجدتُ في قوة شخصيته ما يفوقها قوة في الشخصية, فشعرتُ أنّ ذلك يزيدّها إعجاباً به....

_ أم لعلّي سعيدةٌ كونه غير مرتبط!

تساءلتُ وهي تتراسل مع صديققتها (جوان) عبر الإيميل الإلكتروني في المساء, بعدما سألتها عن حال والدتها وسألتها (جوان) عن وضعها مع الشاب فقصّت

عليها ماجرى معها.... هنا, وعند آخر عبارة لسارة, حوّلت (جوان) المحادثة الى فيديو وأظهرت صورتها وهي تضحك على (سارة).....

_ أها! هل هنالك إعجاب خفي, هل أرى قصة حبّ مخبأة!

_ ماذا! إخرسي.... كفى! سيستمعك الشاب.... إذهبي....

أغلقت (سارة) المحادثة وأطفأت الحاسوب الذي أخذته الى الصالة بعيداً عن الشاب كي لايعرف ماتفعله مع صديقتها.....

وأيضاً لأنها وجدته نائماً بفعل المهدئات التي أعطتها له....

في المساء وبعد ساعة متأخرة من الليل, شعرت (سارة) بتعبٍ شديد وإرهاق في عضلاتي عينيها بحيث أنها لم تستطع فتحها بدون ألم, فرمت كتبها على الأريكة حيث جلستُ تقرأ طوال المساء في الصالة وأكواب القهوة فوق المنضدة أمامها...

نهضتُ بتكاسل وفتحت باب غرفتها لترمي نفسها فوق سرير صديقتها ورفعت الغطاء لتندثر به....

لكنها لم تستطع النوم, إذ كان صوتُ أنين الشاب وهو نائم قوياً هذه المرّة, وفجأة, وجدته يصرخ بقوة وينهض من فوق سريرهِ جالساً وهو يصيح من الألم....

_ هل أنت بخير!

هتفت بقلق.... كان جبينه ينضح عرقاً, لاحظت ذلك لما أشعلت مصباح المنضدة بينهما....

_ سأعطيك مهدئاً آخر, لكن... لا أستطيع الأكثر من المهدئات, فذلك غير صحي لك...

_ أريد أي شيء يُسكّثُ هذا الألم ويخرسه... أرجوك.... هتف بصوتٍ حزين....

تألّمت (سارة) لأجله, لكنها لم تستطيع سوى إعطائه حبةً واحدةً من المهدئات,
لأنها خشيت عليه الأدمان عليها...

_ أرجوك! يجب أن تتحمل, فالأمر ليس بيدي....

_ أعرف هذا... أعرف... شكراً لك....

هتف وهو يتناول كأس الماء من بين يديها....

_ ربّما عليّ الذهاب بك إلى المشفى! أنا لستُ بطبيبة... لقد سألتُ وأستفسرتُ
لأجلك وعلى أساس ذلك جلبتُ الدواء, لكنّ , أنا أخشى أن أكون قد أخطأت بشيء
ربما يؤدي ذلك الى تأخر علاجك!

_ كلا!! لا أريد الذهاب الى المشفى... سوف يجدونني! كلا! أرجوك!

_ حسنٌ أذاً! حاول أن تنام... إهدأ قليلاً....

_ شكراً لك....

هتف الشاب وهو يضطجع على يمينه مرةً أخرى ناظراً إليها....

_ لكنّ! ألم تعثري على هاتفي أبداً!!

_ ماذا! لا.... آه! ربما ظلّ في معطفك الذي تخرج بالدم فوق مقعد المترو! يا
إلهي! لم أعلم بنقالك! آسفةٌ حقاً!

_ لا بأس! أرجو أن لا يعثر عليه أحدٌ منهم!!

عشرات الأسئلة وثبت الى عقل (سارة) لكنها لم تجرؤ أبداً على سؤاله عن أي
شيء دون أن يخبرها هو به.....

_ صباح الخير.... إنهضي أنسة (سارة), فموعد محاضرتك الأولى سيمرّ دون أن
تعلمي وسيفوتك....

هتف الشاب وهو يوقظ (سارة) التي كان شعرها الأسود الطويل منسدلاً فوق
وجنتيها وعلى وسادتها وكأنها أميرة من القرون الوسطى, فتحت عينيها
الزرقاوين, وتساءبت بكسل....

_ أه! كم الساعة الآن!

_ إنها أمامك.... هيا انهضي يا كسولة!

_ كيف أنت!

نظرت (سارة) الى الشاب بقلق فنظر إليها بامتنان....

_ حمداً لله.... لكنني لم أستطع النوم مطلقاً....

_ يا إلهي, ساعدك الله! إنَّ ألمك فظيع... كان لزاماً عليك أن لا تتحرك....

_ أعرف ذلك, لكنَّ الأمر لم يكن بيدي.... هيا أسرعي, لم أشأ إيقاظك مبكراً جداً,

لأنني أعرف انك متعبه... ولقد كنتِ تشخرين! شخيراً كالأسد!

_ أنا!

_ توردت وجنتا (سارة) خجلاً فضحك الشاب بصوتٍ عالٍ...

_ لا بأس! فأنا لم أنم اصلاً, وبقيت أتسلى بصوت شخيرك!

_ ماذا!

نظرت إليه بخجل وقد توردت وجنتاها ودفعت عينيها نحو الساعة المنضدية
أمامها, فصرخت بذعر....

_ يا الهي! لقد تأخرت! ما هذا! كان عليك إيقاظي أبكر من هذا الوقت لأعد طعام
الافطار لك....

_ لا تقلقي بشأني.... إذهبي بسرعة.....

أسرعت سارة بأخذ ثيابها من الدولاب, وبسرعة لم تصدقها, أكملت تبديل ثيابها وأكملت ارتداء بنطالها وهي تقفز على طول الغوفة , بينما يراقبها شاب مبتسماً, ساخراً من طريقتها في اللبس..... آخر, أخرجت معطفها ونظرت الى الشاب بدهشة...

_ ماذا! أو تسخر مني!!

_ كلا! كلا! على الإطلاق! إذهبي....

_ لا.... أين كتبي! تذكرت... تركتها في الصالة.... وداعاً.... لا تتحرك!

_ حاضر سيدتي!

هتف الشاب بسخرية, وقبل أن تخرج (سارة), شعرت بتأنيب الضمير, فعادت الى المطبخ بسرعة, لتعدّ له قهوةً وتصنع له بعض الجبن والخبز..... فتحت الباب وحقبية كتبها متدليّة من أعلى كتفها بينما تحمل صينيّه الطعام بين يديها...

_ ماذا! ألم تذهبي!

_ لم أستطع تركك بلا فطور... حتى لو تأخرت قليلاً! صمت الشاب وحرار جواباً بينما وضعت ساره الصينيه فوق حجرة وهو جالس على السرير..... نظر إليها بامتنان شديد....

_ لا أعرف ماذا أقول لك؟

_ أعتنِ بنفسك أرجوك! عدني....

قالت (سارة) وهي تنظر إليه بحزم..... فبادلها نظرات العرفان....

_ أنا جدّ شاكر لك.... سأفعل, كوني على ثقّه....

وقبل أن تخرج من الغرفة ناداها..... التفتت نحوه....

_ أرجوك.... إعتني بنفسك.....

نظرت إليه لثانيتين قبل أن تقول بصوت متهدج, ملئ بالسعادة

_ شكراً لك....

صفت الباب خلفها وهي تشعر أنها سعيدة جداً.... أوقفت سيارة أجرة لتذهب بسرعة إلى الجامعة, رغم أنها تذهب كل يوم مشياً على الأقدام.... لكنها, وقبل أن تركب, وجدت يداً تمسك كتفها من الخلف....

_ أنستي!

التفتت برعب, فإذا بها ترى ذلك الرجل الأسود الذي ساعدها على نقل الشاب إلى شقتها....

_ آه! إنه أنت!

_ هل أنت بخير!

_ نعم! شكراً.... شكراً لك, لقد أخفتني! هه.... لا بأس!

_ حسن! لن أعطك أو آخذ كثيراً من وقتك... لكن قولي لي, هل هو بخير؟

_ ماذا!

تفرست (سارة) بوجه الرجل, ثم قالت بسرعة....

_ لماذا السؤال!

_ فقط أردت معرفة الأمر.... أوه, أوه, لاتفهميني خطأ, لقد وجدت جهازه النقال في معطفه, فأن كان حياً فعليك أعطائه له, وإلا دعيني أتصرف به وأبيعه وأكسب نقوده!

_ سيدي! آه! إنه على قيد الحياة! لقد سأل بالأمس عن جهازه!

_ هل..... آسف أنستي, لكن... يجب أن أتأكد أنه حي... هل يمكنك الاتصال به

وإسماعي صوته, كي أعطيك هاتفه النقال....

صاح سائق الأجرة بساره فجأه بحيث بهتت (سارة) مع الرجل....

_ هل ستركبين أم ماذا! لقد تأخرت في الصعود! هيا!

_ نعم! نعم.... أنا أعتذر.... حسنٌ.... سأكلمه من جهازي لأنّ جهازه به رمز سرّي يشكل مؤكّد....

_ نعم, إنه كذلك, لقد حاولتُ فتحه, لكنه مشفرٌ....

_ حسنٌ... مرحباً! نعم! إنها أنا, لا لا.... لا تقلق, ليس هنالك شيء قد أصابني, كنتُ فقط أريدُ أن أخبرك أن هاتفك الخليوي معي الآن.... سأأخذه للجامعة الآن, وعندما أعود أعطيه لك....

كانت (سارة) قد فتحت (الحاكيه) بحيث سمع الرجل الأسود صوت الشاب, وعند ذاك قال لساره بعد أن أغلقت هاتفها وأنهت الأتصال.....

_ هل تأكدت أنني صادقته!

_ نعم! شكراً لكِ آنستي.... كوني على حذر....

هتف بها وهي تركب السيارة, وقد مدّ رأسه من نافذتها الجانبيه....

نظرت (سارة) الى الرجل بتوجس وخصوصاً عندما رمى قصاصه ورقية في حجرها, ثم غمزها بعينه اليمنى...

حظاً سعيداً آنستي, إعتني بنفسك.....

التفتت ساره نحوه بينما سيارة الأجرة تسير بها. لكنه كان قد اختفى.... فتحت القصاصه, فإذا بها أرقام مكتوب تحتها:

((سلّمي الورقة الى جو))....

شهقت بدعر.... ((من هو جو؟! هل يمكن أن يكون هو نفسه))...

تذكرت ساره أنها لم تعرف اسم الشاب لحدّ تلك اللحظة....

بقيت في المحاضرات تفكر في ذلك الرجل الأسود وكيف أنه عثر على جهاز الشاب النقال كانت تتساءل, لماذا لم يأتي قبل ذلك اليوم, وما الذي حدث تحديداً كي يعطيها تلك القصاصه, وهل يعرف الشاب الذي يضطجع فوق سريرها, أم أنه من اولئك المجرمين الذين يلاحقونه؟! ظلت (سارة) خائفةً متوجسه, حتى وصلت شقتها ووضعت القصاصه في يد الشاب الذي ما إن فتحها حتى تغيرت نظراته السعيده المبتهجه برويتها إلى نظرات جاده صارمة....

__ يجب أن أخرج من هنا فوراً!!

__ ماذا!؟

هتفت (سارة) بدهشه.... فنظر الشاب إليها بحزم.....

__ أنا لا أمزح معك.... أنت الآن مهددة بالقتل مثلي, لأنّ جهازي أصبح معك....

__ ماذا! أنا لا أفهم شيئاً! يا إلهي.... ما الذي تتحدث عنه....

فجأة, سمعت (سارة) صوتاً كتهشم زجاج في مطبخها,

إلتفتت, أمسكت مقبض الباب وصرخت لترى ما الأمر.... وقفت أمام نافذة المطبخ فوجدتها مكسورة وقد فُتح الباب بفعل فاعل!؟

الفتت بسرعة وذعر, قبل سماعها صوت تهشم الصحون خلفها,

فوجدت أمامها رجلاً مدججاً بالسلاح يضع قناعاً على رأسه, فتجمدت (سارة) في مكانها ولم تبرحه بينما كانت ترتعش من رأسها حتى أخمص قدميها, كانت التفاتتها تلك كفيلاً بأنقاذ حياتها, فتلك الرصاصه التي أصابت سلة الصحون خلفها, كانت من الممكن أن تستقر في رأسها..... أغمضت عينيها وهي تدعو الله وفي ثانيه واحده رددت الشهادتين بشفتيها متممة ويتيقن أنها ستموت عندما سمعت صوت طلقة ظنّت أنها ستصيبها, فتحت عيناها لتجد الرجل ممدداً على الأرض وذلك الشاب الذي كان نائماً قبل قليل فوق فراشها, يمسك بمسدسه الذي كان موجهاً نحو القاتل ولا يزال بخار حرارة انطلاق الرصاصه يخرج من فوهته...

تبادلا النظرات لثانيه, لمّا جثا الشاب على ركبتيه وأخذ يجردّ القاتل من سلاحه
ويأخذ عدّته التي يحمل بها أدواته القاتلة, ويضعها على الأرض, ثم فتش جيوبه
كخبير مرّت عليه هذه الحالة مرات عديدة كما خمنت (سارة), لعدم مبالاة الشاب
بتلك الدماء التي غسلت أرضية مطبخها, بينما كانت هي على وشك التقيؤ من شدّة
الموقف عليها....

أخرج الشاب جهاز القاتل النقال وكسره بضربةٍ واحدةٍ على الأرض....
نظر الى سارة بحزم.....

_ هيا, ساعديني على ارتداء هذه العدّة بسرعة.... جرحي لايساعدانني فهلّمي...
هيا... ساره! بسرعة.... لاوقت لدينا....

رفعت ساره ذلك الحزام المليء بالسكاكين والمسدسات ورفعته بشق الأنف
لتساعد (الشاب) على ارتدائه فأخذ الحزام عنها وحمله وأمرها بمساعدته على
ارتدائه فحسب, لأنها لم تقوى على حمله... فامتثلت للهجته الأمرة تلك...

_ أين جهازي النقال....

_ إنّه في جيبي! لكنني لا أفهم!

_ أعطني إياه... بسرعة....

ناولته الجهاز, فقام بفتحه وإلغاء شفرته بنظرة من عينيه لأن بصمته (كانت على
النظر), وقلّب فيه لثوان قبل أن يسأل ساره بصوت أمر....

_ أين الحمام الخاص بشقتك....

_ من هنا.....

كان لايزال يجرها من ذراعها وهي تمضي معه أينما يسير.... فتح باب الحمام,
نظر الى دورة المياه, فتح المقعد المخصص لقضاء الحاجة ورمى الجهاز به ثم
ضغط زر تدوير المياه, فصرخت سارة....

_ لماذا! لقد عطل الجهاز.....

التفت الشاب إليها غاضباً.....

_ حقاً! شكراً لإخباري.... هيا بنا الآن.....

_ لكن! إلى أين... ماذا عن الرجل! لقد سألت دماؤه على أرضية مطبخي....
الشرطة! يا إلهي....

_ ساره! لا وقت لدي لأسئلتك هذه, تعالي معي وكوني مطيعة!

قال (الشاب) ذلك وهو يمسك وجه (سارة) بقوة بيده اليمنى مقرباً وجهه منها
فلاذت ساره بالصمت وهي ترتجف.... لانك نظراته وهو يتأمل وجهها الملائكي
وهمس لها بصوت هادئ....

_ هيا بنا.... أسرعي....

_ أئن آخذ محاضراتي!

_ كلا! فقط تعالي بمفردك.... سأشرح لك كل شيء... هلمي..... وبينما كانا
يحاولان الخروج, إذا برجلين يظهران أمام سارة,

التي تجمدت في مكانها مرةً أخرى, إختبأ الشاب خلف باب الحمام وظهر لذيالك
الشابين فجأة وهو يحمل مسدسين أطلق منهما عليهما مباشرةً فأصابهما في
الصميم.....

_ هيا, ساره.....

شدّها من ذراعها وهي لاتلوي على شيء, أخرجها من الشقة وأوقف سيارة
أجرة.... أركبها بقوة بدفعها على المقعد الخلفي بينما ركب بجوارها وما أن سارت
السيارة حتى فتحت (سارة) بابها القريب فكادت أن تقع لولا يد الشاب القوية التي
أمسكت بها, كانت قد مدّت رأسها لتتقيأ....

صاح السائق... ..

_ هل هي بخير... ..

_ نعم, نعم... .. تحرك بسرعة....

سحب (الشاب) ساره نحوه وأغلق بابها وقلها بيده... ..

نظر الى وجه (سارة) الممتع... ..

_ هل أنتِ بخير!

قال بقلق هامساً لها, فتمتمت....

_ لستُ بخير... .. لستُ بخير....

_ لا بأس, كل شيء سيكون على ما يرام... .. أعدك (عزيزتي) ساره....

قال الشاب ذلك وهو يهمس في أذنها... .. وصلاً أخيراً الى بناية شاهقة بعيدة كل

البعد عن حرم ساره الجامعي وشقتها... .. أخذ الشاب (سارة) نحو مصعد كئيب

وصعدا فيه بمفردهما... .. وقبل أن يداخا البناية, طلب الشاب من (سارة) جهازها

النقال وأعطته له, كانت (سارة) تشعر بإعياءٍ شديد بعد تلك الأحداث, ولم تستطع

سؤاله عن سبب طلبه جهازها النقال, لكنها تمننت لو أنها قد سألته مسبقاً قبل أن

تراه يدوس جهازها بحذائه ويحطمه عمداً... ..

تأوهت (سارة) ولم تسأل (الشاب) عن سبب ذلك... .. ظلّا صامتين طوال الوقت في

المصعد وعندما توقف المصعد عند الطابق الثالث عشر,

أمسك الشاب ذراع (سارة) ودفعها خارج المصعد... .. أخرج من جيبه بطاقة

صغيره فتح بها قفل باب الشقة... .. أشعل المصباح الكهربائي بكبسة زر, وطلب

من (سارة) الدخول خلفه....

_ هل أنتِ بخير! نحن هنا بأمان, لا تخافي... .. أه!

صاح بألم وهو يخلع حزام الأسلحة ليرميه على أريكة صالة الشقة الصغيرة,
ودلف الى الحمام بسرعة بينما ظلّت ساره واقفةً وآلاف الأسئلة تتوارد إلى عقلها
ولاتجد لها جواباً وأولها كان....

((لماذا أنقذني, ومن هو هذا الشخص الذي تورطت معه!))....

_ أه... يا إلهي!

صرخة ألم شديدة أطلقها الشاب فجأةً دفعت بساره أن تهرع الى الحمام دون
استئذان لتجد الشاب ينزف من جرح خاصرته وهو يجود بنفسه بينما رمى قميصه
على أرضية الحمام....

_ يا إلهي! إنك تنزف مجدداً!! هل لديك علبة إسعافات أوليه!

_ نعم.... إنها هناك.... فوق المغسلة!

قال الشاب وهو يتكئ بجسده على جدار الحمام متهاك القوى...

_ دعني أرى جرحك الآن....

_ كان همّ (سارة) عندما رأت (الشاب) ينزف أن تطبّبه وأن تبعد عنه مخاطر
التهاب الجرح, فأخذت تعمل على جرحه والشاب مستنداً الى الجدار مولياً إياها
ظهره وهو يكتم أنين ألمه.....

_ يجبُ أن تتحملني قليلاً.....

_ إفعلي ذلك فحسب....

_ حسنٌ.....

قالت (سارة) وهي تتجنب النظر الى جسد الشاب وتركز نظراتها على جرحه,
ولمّا انتهت من عملها, إلتفت الشاب إليها وقال....

_ شكراً حضرة الدكتور... شكراً لله أنّ معي طبيبة....

توردت وجنتا (سارة) وهي تهمّ بالنهوض حاملة علبة الأسعافات بين يديها حيث صارت قبالة الشاب الذي نظر إليها بدهشة....

_ ماذا!

_ ماذا! هل هناك شيء خاطئ!

هتفت ساره.... فهتف الشاب بدهشة....

_ أئن تسأليني عن كل ما جرى!! من أنا ... ماذا حدث معك؟

_ إن شئت أخبرتني وأن لم تشأ فذلك شأنك....

_ رباه! أنت غير معقوله! لم أصادف فتاةً مثلك!

_ حسنٌ.... إرتد ثيابك..... أنا سأخرج....

قالت ذلك كله متجنبه النظر إليه وهي تشيح بنظراتها بعيداً عنه....

_ ليست لدي هنا ثياب.... هل يمكنك جلبها لي من خزانه ثيابي .

لو سمحتِ بذلك؟

قال ذلك وهو ينظر (سارة) بنظرات خاصه وقد لانت نبرته في جملته الأخيره,

فارتبكت (سارة) وأشاحت ناظريها عنه وقالت له بعد حين....

_ لابس..... طبعاً.... أين غرفتك....

_ إنها الغرفة الوحيدة في الشقة, لن تضيعي دربك!

دلفت غرفته. فهاها جمال الغرفة وترتيبها بعد أن أشعلت المصباح...

كان دولا ب ثيابه مرتباً بدقة.... كل ألوان الغرفة تميل الى الرصاصي القاتم

والأزرق الفيروزي والأبيض, حتى ستائر الغرفة ذاتها وورق الجدران أيضاً....

أخذت سارة قميصاً وبنطالاً وثياباً داخلية له,

كانت جميعها مرتبةً بقرب بعض في ترتيب شبه مثالي شعرت ساره معه (أنها فوضوية للغاية)... ناولته ثيابه فشكرها....

_ لو أحببتِ أي شيء... فالمطبخ أمامك, من أكلٍ أو شربٍ إعتبري نفسك في منزلك....

هتف الشاب من خلف باب الحمام فشكرته (سارة).... لكنّها فضّلت الجلوس على الأريكة في الصاله لتعرف منه تفسير كل تلك الأحداث....

_ ماذا! ألن تأكلي شيئاً....

هتف الشاب وهو يحمل زجاجة نبيذ وكأسين صبّ في إحداهما الشراب ليقدمه لها على منضدةٍ قد وضعت أمامها....

_ ماهذا؟

صاحت (سارة) بدهشة....

_ إنه (ماريتي)... ومعتقّ.... من أجود الأنواع.... ستحبينه....

_ ماذا! كلا! هل أنت مجنون! أنا لا أشرب! أنا مسلمة!

_ آه! حقاً!

أرتمى الشاب بجسده بتهالك على الأريكة بجوار ساره, فابتعدت (سارة) عنه, وهي تشعر بقليل من الخوف.... نظر الشاب إليها بدهشة....

_ مسلمةٌ إذاً! هل هذا الشراب غير مسموح عندكم!

_ إنه محرّم في ديننا.... سيدي!

_ سيدي! هه! سيدي... نعم... أنتِ لا تسألين أبداً هل السؤال حرامٌ في دينكم أيضاً....

_ أرجوك, كفى هزأً بي.... عليّ أن أعود إلى شقتي وجامعتي ستصل صديقتي مساء اليوم الى الشقة فوالدتها قد تماثلت للشفاء, ولقد قطعت إجازتها لتعود كما أخبرتني البارحة عن طريق النت....

_ أنا آسفٌ حقاً أنستي....

_ آسف! على ماذا....

_ لن أستطيع تركك تذهبين من هنا! لأنك أن خرجت.... ورفع الشاب نفسه بعد جملته تلك ليقرب وجهه من (سارة) هامساً لها.... وأكمل قائلاً وهو يحتسي النبيذ....

_ ستكونين جثةً هامدة.... هل ذلك ما تريدينه....

إمتقع وجه (سارة) وحارت جواباً.... كانت تريد أن تصرخ في وجهه وأن تتهمّه وأن تقول له, أنه قد ورطها معه, لكنّ حياءها وأدبها منعها من كلّ ذلك فالتزمت الصمت وهي ترتجف

_ ستبقين هنا عدة أيام بينما أنتهي منهم جميعاً.... لا تخافي,

_ فاليوم سأدفع تكاليف الممرض الذي ساعدني بنقل أكياس الدم ومستلزمات نقله إلى صديقتك, لأنها قالت لي ذلك.... لا.... لا تتعجبي.... ماذا!

_ من قال لك ذلك؟

قالت ساره بدهشة, فنظر الشاب إليها بآمتنان....

_ صديقتك قالت لي... وأنا لن أدعك تدفعين ثمن أي شيء..... و بالنسبة لمطبخك فلا تخافي.... عندما تعود صديقتك, ستجده نظيفاً.... لن نستطيع إصلاح النافذة اليوم, لكنني أعدك بإصلاحها عن قريب ربما عندما تعودين يمكنك أن تخبريها بأي قصه وهميه....

قال ذلك وعاد الى وضعه السابق وقد ارتمى بجسده المتهالك على الأريكة وساقاه ممددتان على المنضدة الزجاجية أمامه....

ساد صمت ثقيل بينهما.... لم تستطع (سارة) قول شيء.... كانت خائفةً من بقائها في شقة شابٍ أعزب وأيضاً.....((وسيم, ومرتب وغني في آنٍ معاً!!)) هكذا هتفت في سرّها...

((من المستحيل أن يكون قاتلاً بعدما أنقذني من الموت)), فكرت في ذاتها....

__ ماذا!

هتف الشاب فجأة فنظرت (سارة) إليه بدهشة....

__ ماذا!

__ ألن تأكلي شيئاً ألسـتِ جائعة....

__ أنا جائعة فعلاً!

__ آه! يا إلهي! يالسوء ضيافتـي أنا لسـتُ مثلكِ مضيافاً.... أعتذر جداً أنستي ... دقائق....

قال ذلك ونهض بصعوبه وهو يئنُّ من جرحه, ليدلف المطبخ....

ناداها بعد دقائق عدة ظنتها (سارة) دهرأً طويلاً....

دلقت الى المطبخ فوجدته قد ارتدى منزر الطباخ فابتسمت بسرعة لأن منظره كان مضحكاً فيه.... فصاح الشاب....

__ ماذا! هل تضحكين عليّ! هه! لكِ الحق بذلك! تفضلي....

قال ذلك وهو يخرج كرسيأً من مكانه قرب مائدة الطعام الموضوعه في وسط المطبخ ويشير لها بالجلوس عليه, حيث جلست وحيث أعادها مع الكرسي قرب المائدة, ووضع لها منديلاً فوق حجرها, فتوردت وجنتاها حياءً....

_ معك الشيف.... لا , لا , لن أقول لك أسمى لأنك لم تسألني, ولست مهتمةً
بمعرفته, فأنا....

قال ذلك وهو يرفع المقلاة من فوق الطباخ ويصب محتواها في صحنٍ أمام
(سارة), وأكمل قائلاً وهو يضع لها الخبز الذي أخرجته من المحمصة....

_ أنا مجرد شاب جريح, عطفت عليه وقمت بواجبك الأنساني تجاهه..... لأنك
طبيبة المستقبل الناجحة وجراحة المستقبل الماهرة رفعت (سارة) نظراتها إليه
فالتقت بنظراته التي لم تفهم كنهها وحارت جواباً, فلاذت بالصمت.... هل كانت
نظراته (حباً) أم (لوماً) أم (سؤالاً).... لم تفهم ذلك, بل لعلها كانت مزيجاً من كل
ماشعرت به....

_ ماذا تشربين إذاً, إن كان النبيذ محرماً عندكم؟

_ هل لديك (كولا).....

_ نعم, أكيد... تريدينها بسكر أم بدونه....

_ سكر, لا أريدها للحميه.....

_ أها! حاضر..... هاهي ذي.... تفضلي أنستي.....

قال الشاب وهو يضع العلبه أمامها تناولت ساره الشوكه والسكين وأخذت
تقطع الدجاج الذي حضره الشاب لها.... كان ينظر إليها وقد جلس قبالتها, بفضول
وإعجاب في آن معاً, فرفعت رأسها بعد حين ونظرت إليه....

_ ماذا!؟

_ ماذا, ماذا!؟ هل أذيتك بشيء....

هتف الشاب, فقالت ساره بسرعة.....

_ لم لا تأكل أنت!

_ لستُ جائعاً! هل تريدون شيئاً آخر..... أنا لستُ طباًحاً ماهراً مثلك لكنني أعرف صنع بعض الأطباق.... سأصنع لكِ غداً طبقاً مميزاً....

_ لا أحب الأطباق الأميركية! أرجوك..... كلها سكريات؟ لأحبها....

_ ماذا تحبين إذاً أن أصنع لكِ.....

_ لا شيء..... أريدك أن تكون بخير وأن يشفى جرحك.....

قالت (سارة) ذلك بصدق وحنان, فنظر الشاب إليها نظرةً خاصة....

_ كم أنتِ طيبة القلب!!!

ارتبكت نظراتها وهي تنتظر إليه بنظرها بعرفان وحب.....

_ شكراً لك لكن لماذا تقول لي ذلك؟

_ لأنك رغم كل ماجرى لك اليوم معي, تتمنين لي أن أكون بخير ولا تطلبين شيئاً سوى ذلك.... أنا ممتن لك ولا أعرف كيف أجازيك على معروفك معي.... سأظلّ مديناً لك يا ساره, صدقيني....

ولكن... هل تعديني بشيء..... أتمنى أن لا تفهمي سؤالي خطأ!

_ ماذا!

_ هل تعديني أن نبقي أصدقاء الى الأبد, مهما حدث!

قال الشاب ذلك وهو ينظر الى (سارة) نظرات عميقه, فشعرت (سارة) بارتباك شديد لكنّها تداركته بقولها....

_ أعدك.... طبعاً... سنظل أصدقاء, مهما حدث أو حصل.... ثم أنك لست مديناً لي بشيء!

هتفت (سارة) فنظر الشاب إليها مستغرباً....

_ وكيف ذلك؟

رفعت ساره عينيها نحو الشاب وقالت....

_ لقد أنقذتني اليوم من الموت المحتم.... كنت كأولئك الذين اراهم في الأفلام....

تمدّ ذراعيك وتأخذ مسدسين وتطلق منهما في وقت واحد.... انت محترف للغاية.... ماذا كان ذلك..... أنا لا اصدق أن ماحصل اليوم معي كان حقيقة!

هنتفت (سارة) بحماس, ثم أضافت بحركة تمثيلية بيديها....

_ طا, طا, بوم بوم....

وهنا انفجر الشاب بالضحك حتى بان بياض لثته وضحكت (سارة) أيضاً من كل قلبها... رغم الذعر الذي أصابها بعد الظهيره وطوال العصر, لكنها ضحكت كثيراً مع الشاب وكأنّ موجةً من الضحك انتابتها, توقفا عن الضحك فجأةً ونظر الشاب إليها بامتنان وإعجاب....

_ لربما تريدان النوم.... أنت متعبه.... تفضلي في غرفتي.... سأنام أنا على الأريكة....

_ لا, لا.... أنت مصاب.... لايمكنك النوم على الأريكة....

_ لاتجادليني!

هتف الشاب بصوتٍ حازم, جعلها تمتثل لما قال دون جدال....

ناولها الشاب جهاز تحكم عن بعد.... قال لها هامساً....

_ الستائر والضوء والباب وكل شيء في الغرفة يتحرك إلكترونياً بضغطةٍ من أصبعك على أي زر تشائين.... أحلاماً سعيدة (سارة)....

قال بصوت حانٍ وهو يشددّ على لفظ أسما فنظرت إليه بامتنان....

_ شكراً لك, وأنت كذلك....*****

_ صباح الخير أيتها الكسول.....

هتف الشاب وهو يحمل بين يديه طعام الإفطار حتى السرير حيث جلست ساره
فزعةً وهي تنهض على إثر نداءه....

_ ماذا جرى! لاتخافي!..... إنه أنا... ماذا بكِ...

_ لاشيء! لقد حلمت بكابوس....

ردت ساره وهي تنظر بامتنان الى الشاب الذي وضع الطعام على منضدةٍ قرب
السرير وجلس على مقعد جوارها.....

_ أنا لستُ مصابه, وأستطيع القدوم الى المطبخ!

_ لكنك ضيفتي, وأنا أحاول ردّ جزءٍ بسيط من جميلك معي....

_ لم أفعل شيئاً يُذكر... ولا تنسى أنك أنقذتني مرتين بالأمس!؟

_ حقاً! شكراً لك....

هتف الشاب وهو ينظر بعرفان الى ساره, فرّدت بدهشة....

_ علام الشكر.....

_ أولاً..... أنتِ أنقذتني وأنتِ لا تعرفين عني شيئاً..... أما أنا فقد أنقذتك بسبب
توريطي إياك معي, وكان من الممكن أن يصيبك مكروه ما بسببي , فهل أستحقّ
الشكر على شيء,

كان من الممكن ألا يصيبك مكروه أو أيّ خطر من دوني أو بسببي لولا وجودي
هناك..... ثم.....

ونظر الى (ساره) بكل حب وإعجاب....

_ ماذا!

هفت ساره وهي تتناول الشاي فلم تظهر سوى عينيها الجميلتين

_ ثم أنك.... لم تتهميني ولم تسأليني من أكون! وكأنك واثقة أنني أنسان نبيل لا يمكنه إيذاءك أو إيذاء الآخرين!؟

وأنا جدّ شاكر لثقتك المطلقة هذه بي....

_ لا أعتقد أنك مجرمٌ على الإطلاق!؟

هفتت (سارة) بثقة..... وأضافت....

_ رغم أنني شككت بالأمر في سرّي في البداية, لكنني لا أصدق وجود مجرم, ينقذ فتاة لا يعرفها وتعرض حياته للخطر لأجلها حتى لو أنقذته!!

المجرم يهرب بجلده ويفرّ بنفسه بعيداً....

نظر (الشاب) الى (سارة) طويلاً نظراتٍ خاصة وصمت الكلام بينهما فلم يعودا يستطيعان إضافة شيء.... كانت أنامله متشابكة ببعضهما البعض وهو يجلس قرب السرير على مقعد خفيض بينما كانت ساره تتناول الفطور وهي تشعر بالجوع الشديد....

_ سأغيب قليلاً فلا تقلقي....

قال الشاب أخيراً وهو يحمل الصينيه من أمام (سارة) بعدما انتهت من فطورها, فنظرت إليه بقلق.....

_ ماذا عن جرحيك!

_ لاتخافي أبداً! سأكون بخير.... ساعديني فقط على ارتداء عدتي لو سمحت....

قال ذلك وهو يرتدي قميصه أمامها ويُخرج من درجٍ سفلي شبه خفي في الدولاب الكبير, حزاماً على شكل حرف (x) يحمل بين طياته مختلف أنواع الأسلحة....

نهضت ساره تلبسه الدرع فوق قميصه الأزرق, وقالت له بصوت مرتعش....

_ ألى أين أنت ذاهب! أرجوك؟ لا تخاطر بحياتك....

_ هل تخشين عليّ؟!

التفت الشاب نحوها وكان قبل ذلك قد ولاها ظهره, فتوردت وجنتاها وشعرت
بخجل شديد, خصوصاً تحت تأثير نظراته تلك

_ طبعاً أخافُ أن يصيبك مكروه!!

_ لقد اعترفتِ الآن! هه.... أنتِ تخافين عليّ... لا تخشي شيئاً أعدك أني سأعود
سالمًا لك وقطعةً واحدةً! هه....

قال ذلك غامزاً لها بعينه اليسرى فأطرقت (سارة) خجلاً وهي تحير جواباً....
ذهب الشاب نحو درج ثيابه وأخذ يُخرج أسلحة متنوعة, يعبؤها فوق ساقيه كلٌّ في
خراج أسود ويُعيد طيّ قماش بنطاله فوقها... أخرج ساعةً من دُرجه وتحدث بها
بعد أن قام بتشغيلها بينما وضع خُرْجاً لمسدس فوق كل من فخذيه...

_ نعم, أنا قادم...

التفت نحو (سارة) التي كانت تنظر بذهول لكلّ ما يفعله وقال

_ سوف أغيب مطولاً ولن أترك وسيلة تواصل معك. لأنني أخاف أن يصلوا إليك
عبرها, ولكنّ كوني على يقين أنني سأكون بخير, وإن لم أكن, فلسوف يرسلون
شخصاً يُخبرك بذلك.... وداعاً (سارة).... أسألك الدعاء لأجلي....

_ يا إلهي! فليكن الله معك!

هتفت (سارة) وقد تملكها الخوف الشديد.... تبادلا نظرات الإعجاب والمحبة,
عندما اختفى الشاب خاف الباب....

لم يعد الشاب في ذلك المساء, وهجر النوم جفني (سارة) ولم تعدّ تستطيع التفكير
بشيء.... بقيت تتقلب يميناً وشمالاً حتى لاحت تباشير الصباح.... نهضت (سارة)
وغادرت الفراش.... تفرست النظر في الصور الموضوعه على الجدران في

الغرفة.... لا وجود لصورة له, ولاذكريات تُعلمها من يكون.... لكنها لم تصدق في سرها إنّه قد أُصيب بمكروه.... ذهبت نحو المطبخ وفتحت الثلاجة, وقررت أن تُشغّل نفسها بالطبخ بما يوجد لمدى ذلك الشاب من أغراض للطبخ ومواد غذائية نافعة لتصنع منها طبقاً مميزاً..... وتخيّلت في سرّها أنّه سيدخل المطبخ فجأةً ويذهلها بقدمه, وبقيت هي تطبخ, تتصور شكلها وهو يقول لها أنّ طبخها رائع.... كانت تبتسم في سرّها كلما تصورت ذلك, حينماً, وحيناً آخر تجد نفسها تبكي خوفاً من عدم رجوعه, أو سماعها خبراً سيئاً عنه.... وبقيت على ذلك الحال حتى المساء فلم تتناول من طعامها شيئاً... شغّلت التلفاز في المساء علّها تنسى همومها....

بقيت تتابع الأخبار حتى غلبها النعاس ونامت فوق الأريكة في الصالة بمفردها... في منتصف الليل سمعت صوتاً غريباً في المطبخ, فنهضت بسرعة, ذهبت خلف الصوت, وهي تنادي....

_ هل هو أنت أيها الشاب!

_ نعم, إنّه أنا!

ولشدة دهشتها, وجدت ذلك الرجل الأسود الذي التفت نحوها وهو يقول بصوت حازم....

_ لقد أوصاني صديقي أن أبلغك أنه بخير, أكدّ عليّ الأمر كثيراً لكنني كنت مشغولاً بالعملية التي كنا بصددها ولذلك تأخرتُ في إبلاغك, لكنّ كل شيء على ما يرام, و (جو) بسلام, لكنّه مصابٌ ببعض الجراح ولم يستطع المجيء....

((إذا! فأسمه (جو)!)) هتفت (سارة) في سرّها بينما تابع الرجل الأسود كلامه

_ لقد أبلغني (جو) أن أقول لك, إنك بأمان الآن وأنّ بإمكانك الرحيل غداً لو أحببت و..... أه! أرادني أن أعطيك هذا الظرف أنستي سأذهب الآن.... هل تحتاجين شيئاً آخر؟

_ كلا! شكراً لك.... لكن.... هل أنت متأكد أنه بخير!؟

_ طبعاً.... لقد أتيتُ شخصياً لأوصل لك رسالته.... والآن وداعاً....

_ وداعاً سيدي....

قالت ساره ذلك وهي تتلقف الظرف بلهفة من بين يديه....

فتحتة على عجاله بينما صفق الرجل الباب خارجاً, وجدتُ فيه مبلغاً مالياً محترماً ومفتاحاً.... كانت هناك ملاحظة صغيرة في قصاصة بخط يد مرتب وأنيق....

((ساره العزيزه... أتمنى أن تزوريني في اقرب وقت.... هذا مفتاح شقتي أن أحتجت إلى أي شيء, أعتبريها شقتك, وهذا رقم هاتفي الشخصي, إن احتجتني في أي شيء على الإطلاق, فلا تترددي, لأننا أصدقاء مهما حصل وإلى الأبد, كما أتفقنا))....

ضمّت (سارة) الرسالة الى شفتيها وقبّلتها دون وعي منها....

((ماذا أفعل؟!)) هتفت في سرّها, لكنّ فرحتها بتلك الكلمات أسكتت صوتها الداخلي, ورفعت المفتاح الى أعلى أمام ناظريها....

((أذاً, فهو يهتّم لأمري دونما شك.... وهو بخير... شكراً لك يارب.... شكراً لك....))... إلتفت حول نفسها عدّة مرات وهي تضع المغليف فوق صدرها بيد واحدة وتحمل المفتاح بيدها الأخرى وابتساماً فرح ترتسم على شفتيها بينما قلبها يرقص طرباً, ولم تعرف مامصدر تلك السعادة, لكنّها سُدّت بها كثيراً....

مرّت عدة أشهر, عادت (سارة) خلالها إلى حياتها الجامعية ولم تسمع عن ذلك الشاب (جو) شيئاً لم يكن, وكأنها لم تلتق به.... وكانت في بعض الليالي, نفكر فيه بعتاب, وتقول في سرّها.... ((لو كان يهتّم لأمري, لأتصل بي....))

ولقد كانت تبكي فوق وسادتها في بعض الليالي, مستذكراً أنه قد نام فوق سريرها ووضع رأسه فوق وسادتها, وعندما تنظر إلى صديققتها النائمة على سريرها,

كانت تحسدها, كونها تستطيع النوم, بينما كان النوم يجفوها كلما فكرت بذلك الشاب, ولقد مرت عليها لحظات تخيلت فيها الشاب ميتاً وأنه قد كذب صديقه عليها, لسبب ما, أو أنّ ذلك الرجل الأسود, لم يكن صديقه, بل عدوّه, دون أن يعلم هو, أو أن تعلم هي.... كلما كانت تحاول الاتصال به, وتمسك سماعة الهاتف, وتضغط الأرقام التي حفظتها عن ظهر قلب, تغلق السماعة بسرعة وخوف وقلبها يخفق بسرعة وتعود تقول لنفسها....

_ يجب أن يتصل هو بك, لو كان مهتماً لأمرِك, فلا تكوني حمقاء, وتقللي من قيمة نفسك, وتتخلي عن كل ما علمك والداك إياه وربياك على الالتزام به.... ثم ماذا سيقول عني في نفسه, إنني إشتقت إليه, ولذلك أكلمه.... ذلك خطأ, فإن كان مهتماً لأمرِي, فعليه هو الاتصال بي.... وذلك ما علمني أهلي عليه ونشأت عليه طوال عمري....

كانت تقول ذلك لنفسها ثم تجهش بالبكاء, لأنها كانت تشعر أنها قد عاشت حلاًماً وريداً جميلاً وصدقته ثم تحطم قصر أحلامها فوق رأسها.... وسرعان ما تتخيله, غارقاً في الحب مع فتيات أخريات, فتشعر إنها تكرهه, وإنها لاتودّ التفكير فيه, فيزداد عذابها وتتضاعف معاناتها.... لكنها كانت تهرب من كلّ ذلك بدراستها ومحاضراتها, محاولةً نسيانه....

ومرّت الأيام سراعاً, ولم تخبر (سارة) صديقتها عن أي شيء مما مرّت به مع ذلك الشاب (جو), وبررت لها تحطم نافذة المطبخ, بكونها نسيت المفتاح في شقتها في ذلك اليوم الذي سافرت (جوان) فيها إلى موطنها الأم, ولذلك اضطرت إلى كسر النافذة وفتح الباب عنوةً.... أما عن غيابها عن الجامعة, فقد تذرعت لصديقتها بحجة مرض أخيها الأكبر,

وقد كانت (سارة) دائماً ماتتحدث عن مدى حبها لأخيها (سمير) لشريكة سكتها (جوان), ولذا, فقد بدت قصة (سارة) الوهمية واقعية جداً, وهكذا, طوّت (سارة) صفحة غيابها عن الجامعة والشقة بدون أن يعلم أحدٌ بما جرى لها مع ذلك الشاب....

مرّت أعوام عديدة وتخيلت (سارة), أنها عاشت حلماً في يومٍ ما.... كانت كل ليلة نحتضن وسادتها وهي تفكر في (جو) , وكأنّه حلم مرّ عليها في ليلة صيف عراقية, كانت تذرف الدموع أحياناً وأحياناً أخرى تغضبُ من نفسها كونها قد ظننت أنّه أعجب بها في يومٍ ما, وكانت تُقرّع ذاتها كثيراً حتى صدّقت أنه لم يعجب بها أبداً وأنها لم تمثل له شيئاً أكثر من فتاةٍ أنقذت حياته, وكان من الممكن أن تذهب حياتها هباءً, لأجله, وهو شخص لا تعرفه, ولا تعرف عن تاريخه شيئاً ولم تعرف اسمه أصلاً لولا ذلك الرجل الأسود....وكانت تلك السنه هي سنه تخرجها من جامعة ميشيغان أن أربور....

كانت تلومه كل يوم وكأنها تحدثه, كلّما أرادت الخلود إلى النوم, وقلبها يخفق عندما تستذكر ماجرى له معه, وتتخيل نظراته لها, ثم تتساءل في سرها: ((هل كان كلُّ ذلك وهماً! لماذا إذًا....

كيف شعرتُ إنه معجبٌ بي وكيف سمحتُ لنفسي أن.... أن أتعلّق به, وأحبّه))

لقد اعترفت لنفسها مع مرور السنوات وعدم نسيانها له, أنها أحبته بصدق.... لكنها وبقدر حبها له, بقدر ما عاقبت نفسها بعدم السؤال عنه, أو الذهاب إلى شقته كما ذكر لها في قصاصته الورقيه المنمّقة لأنّ ذلك, كان يعني شيئاً واحداً بالنسبة لها....

سقوطها من كل شيءٍ أخلاقي تعلمته من والديها أولاً, وثانياً, تخليها عن دينها وتعاليم السماء التي ذكرها القرآن, فما معنى ذهابها بقدميها إلى شقته سوى كونها قد خضعت لسحره ورضيئت أن تكون مجرد صديقه له, يقضي وقتاً معها ثم عندما يملّ منها, يهجرها, دونما عودة.... ولكلّ ذلك , كانت تبكي.... وفي أحد الأيام, وبينما كانت قد انتهت من محاضرتها الأخيره في الحرم الجامعي, وكانت تستعد للعودة الى شقتها مشياً على الأقدام, كما اعتادت لوحدها, كون صديقتها (جوان) كانت تتأخر دوماً عن القدوم معها, إذ تذهب الى شقة صديقها بعد انتهاء محاضراتها الجامعية.... ولذلك, وبدون أي مجادله مع زميلة سكنها, كانت (سارة) تذهب وتعود بمفردها الى شقتها, لأنها في أغلب الأوقات, لم تكن تجد

صديققتها بقربها فوق السرير, إذ تببت في بعض الليالي في شقة صديققتها وعند ذاك تتصل بساره وتخبرها بالأمر كي لا تظل قلقةً عليها, وحتى عندما تعود الى شقتها المشتركة, كانت (جوان) لا تحبذ النهوض مبكراً وتعتمد على ساره بنسخ محاضرات الدروس الأولى أقول, في ذلك اليوم, خرجت (ساره) كالمعتاد من الحرم الجامعي حاملةً حقيبة محاضراتها وكتبتها على كتفها, عندما سمعت صوتاً يناديها من بعيد.... إلتفتت, لم تجد أحداً, كان هنالك عدّة أناس يجلسون على المصاطب على بعد مسافةٍ من الحرم, فتابعت سيرها, لمّا سمعت الصوت يناديها مرةً أخرى...

كان صوتاً مألوفاً جداً بالنسبة لها.... عادت بها الذكريات, ولم تصدق نفسها, فقرعت ذاتها مرةً أخرى: ((ياحمقاء! هل أصبحتِ تتخيلين صوته! هل يفكر هو فيك هكذا! إنك مجنونه, كلُّ الفتيات يعشن حياتهن, وصديقتك أولهنّ ألا أنتِ أيتها الغبية.... دعكِ مع إخلاقك وقيمك يا حمقاء))....

وبينما كانت تفرع ذاتها وتمضي, إذا بها ترى أمامها شخصاً سيتوقفها مرتدياً معطفاً أسوداً طويلاً مع قفازات ونظارات سوداء رفعها عن عينيه اللتين لم تكن (ساره) لتنساها أبداً أو لتضيعها بين ملايين العيون.... شهقت بذعر وهو يهتف باسمها....

__ كيف حالك ياساره!!

وقفت ساره مذهوله كتحفةٍ فنية في معرض فنون جميلة, ولم تستطع الكلام.... كانت الريح قد عبثت بخصلات شعره الشقراء لتجعلها تتهادى فوق وجنتيه وكتفيه.... لم تستطع (ساره) كبح جماح دموعها التي انهمرت دونما توقّف....

__ أو تبكين!!

إقترب (جو) منها وأمسك بيدها بقفازة وسار بها نحو أقرب مصطبة حيث جلس الى جوارها وكفكف دموعها بأنامل قفازة الآخر, وهمس لها قائلاً....

_حسنٌ... أنتِ لم تصلي أبداً.....

رفعت (سارة) عينيها وكان عتابها شديداً وهي تنظر إليه طويلاً.....

فهم (جو) كل ما شعرت به فضغط بقفازه على يدها وهو يهمس.....

_ هل تسمحين لي أن أدعوك لعبور هذا الشارع والذهاب الى ذلك المقهى القريب
لشرب كوب من القهوة سوية.....

ذرفت (سارة) دموعاً أخرى وهي تهزّ رأسها دلالة الموافقة....

_ قبل أن نذهب إلى أي مكان.... هل تودين أن تعرفي من أكون؟

رفعت (سارة) عينيها وأومأت برأسها دلالة الإيجاب فتنهذ (جو) وخرج بخار الماء
من بين شفثيه, حيث كلن الجو بارداً جداً... كانت (سارة) ترتعش, وشعر هو بذلك
فقام بنزع معطفه ووضع فوق كتفيها ثم أغلق زرّ أعلى المعطف بيديه اللتين خلع
عنهما القفازين عندما خلع المعطف نظرت (سارة) إليه بإمتنان وسعادة وسألت بعد
طول صمت

_ هل كان ذلك حقيقياً.....

_ ماذا تعنين؟ (سارة) عزيزتي!!

_ أعني... هل كنت حتماً.... هل كنت أتوهم كونك.... أه! لا شيء.....

_ كوني ماذا... (سارة).... جئت لزيارتك, لأني أشتقت فعلاً لرؤيتك.... أنتِ لا

تفهمين... أنا لا أعمل هنا.... لكنني كنت في مهمه سرية وقت أنقذت أنتِ

حياتي.... هل تودين أن تعرفي عني شيئاً أم لا زلت لا تبالين!

_ أنا! لا أبالي!؟

نظرت إليه نظرة استنكار وعتاب شديدين.... تأوه (جو) بألم....

_ كيف لي أن أعلم وأنت لم تتصلي بي ولو لمرة..... لقد... فكرتُ أن من الأفضل لي أن لا أتصل بك, فأنت قد أنقذتني وقمتِ بدورك على أكمل وجه ولم تكوني أو حتى لم يتبين لي أنك تهتمين لأمرى.... حسنٌ.... لا تبكي.... أنا آسف يا ساره... عزيزتي ... أرجوك.....

_ لم تتصل ولا مرةً واحدة, لتسأل عني! أو هكذا الصداقة!

_ أنا أراقبك دوماً من بعيد وأعرف كل شيءٍ عنك دون أن تعلمي أو تعرفي ... أنا يا ساره... أنا أهتم لك كثيراً....

قال (جو) بكل حبٍ وعطفٍ وهو ينظرُ (سارة) بحنان كبير.... رفعت (سارة) نظراتها إليه فوجدته ينظر إليها بأعجاب وحب, وعندما بكت مجدداً فأمسك (جو) بذراعها بقوة وهزّها مننبأ...

_ لماذا تبكين!!

_ لأجل هذه النظرات!.... هل هي حقيقة! هل عشتُ وهماً, وهماً كاذباً, أنك..... أنك.....

_ أنني ماذا.... كعجبٌ بك.... نعم! جداً.... للغاية.... أكثر مما تتصورين!

همس (جو) بصوت رقيق..... تنفست (سارة) الصعداء ورفعت عينها تجاهه وتجرأت على سؤاله....

_ أذاً! لماذا.... لماذا كل هذه السنوات؟

_ دعيني أخبرك إذاً..... عزيزتي (سارة).... أنا إسمي (جو),

هذا أولاً, وثانياً... عليك أن تعرفي أن سرّي هذا, يجب أن لا يعرفه أقرب الناس إليّ.... لكنك... لكن أنت.... يجب أن تعرفي الآن.... كي تعذريني.... أنا يا (سارة) عميل سري في الاستخبارات الأميركية.... عملي يقضي عليّ الاختباء والتنكر عدم الظهور....

والسريّة التامه في كل شيء..... أنا خبير في القتل وكل أنواع الأسلحة لديّ مهام
مختلفة في مختلف دول العالم.... هل أنتِ على مايرام!!
كانت (سارة) تنظر إليه بدهشة غير مستوعبةٍ ماتسمعه منه,
لكنّ عينيها أشارتا عليه أن يُكمل كلامه....

_ عزيزتي..... أنا لم آتِ الى هنا بملئِ أرائتي الآن, بل هنالك مهمّةٌ سريه عليّ
القيام بها هنا, في هذه الولاية بالتحديد, ولذلك أستطعت القدوم إليك.... لأقول لكِ
أنني لم أستطع مطلقاً القدوم, لكنّ مشاغلي الكثيرة لا تجعلني قادراً على السفر,
القدوم إليك.... خاصةً وأنني لم أجد تشجيعاً منك.... عزيزتي.... أرجوك لا تبك
ثانيةً....

لكنّ (سارة) بكت بحزن.... رفعت رأسها بعد لأي وقالت....

_ لقد عاهدتني على الصداقة والوفاء.... أو هكذا تكون الصداقة!؟

_ نعم! أنا مقصّر تجاهك, أعترف بذلك (سارة)... لكنني خشيتُ منكِ ومن ردة
فعلك.... خصوصاً لو عرفتِ أنني.....

_ إنك ماذا؟

قالت (سارة) بنوع من الغضب....

رفع (جو) نظراته نحو (سارة) وقال لها بعد ترددٍ وعيناه الفيروزيتان تلتمعان
ببريق خاص....

_ ساره! لقد حاولتُ لقاءك, لكنني كلما تخيلت محادثتنا وأنا أقول لك....

_ تقول ماذا؟....

أبعد (جو) وجهه عنها.... ثم عاد ينظر إليها وهو يقول....

_ رغم تخيلي ردة فعلك, وخوفي الشديد منها, لكنني لم أستطع أن أنساك يوماً يا (سارة).... هل تعتقدين أنني خنتُ عهدَ صداقتنا!! لا أبداً... لكنك لم تتصلي بي أبداً, وظننتُ أنني....

أه....ماذا ستكون ردة فعلك عندما تعرفين أنني.... يا إلهي, لا أدري لماذا أقول لك كل الحقيقة.... لقد أنهارت وسائل دفاعي كلها, وكل ما أعدتُه من أكاذيب لأقولها لك عن طبيعة عملي, ذهبتُ أدراج الرياح.... فلقد أخبرتك بسرّي الذي لا يعرفه أخي وشقيقي, هل تفهمين.... فقطط والدتي تعرف به, لأنها عميلة سريه قديمة, أما والدي فقد توفي منذ زمن بعيد.... (سارة) يجب أن لا تخبري أي شخص عن حديثي هذا معك, لأنني, سأكون في خطر شديد, هل تفهمين عزيزتي!!

هزت ساره رأسها موافقةً, عندما هتفت فجأةً وهي تسأل....

_ ماذا كنت تقول, أنني سوف أغضبُ بسببه....

هربت نظراته منها عندما سمع كلامها الأخير.... ولأول مرةٍ منذ ألتقت (سارة) بذلك الشاب, وجدت نظراته ترتبك أمامها....

_ قل لي يا (جو)! أخبرني! مهما يكن, فأنا سأظلّ على عهدي معك. أو لم نقل, سنبقى صديقين الى الأبد مهما يكن!؟

_ ساره! أنت مسلمة عراقية شيعية, أو ليس كذلك؟

_ نعم! كيف عرفت بأمر مذهبي....

إبتسم (جو) بسخرية....

_ قلت لك إني عميل سي أي أي.... أو لا تفهمين.... أنا أعرف كل صغيرة وكبيرةٍ عنك وعن عشيرتك وجدّ جدّك!!

بهتت ساره وحارت جواباً

_ هل توّدين أن أعدّد لك أفراد أسرتك بدءاً من سمير!هه؟

_ رباه!

إبتسم (جو) بفخر, ثم نظر إليها نظرة خاصة....

_ ساره؟! هل أنتِ واثقة أنك تودين سماع هذا! رباه!

أخشى أنك ستتهضين وتتركيني الى الأبد....

_ ماذا هنالك أكثر من كونك عميلاً سرياً!

_ أنا يا ساره يهودي...

إبتسمت ساره وقالت....

_ هل هذا هو ماكان يشغل بالك.... وأن يكن, فنحن لم نختر ديننا, أنا وُلدتُ مسلمةً
وأنت وُلدت يهودياً....

_ ساره! إنا يهودي.... ووالدتي يهودية متعصبة للدين, ولكن....

أنا أصلاً يهودي إسرائيلي.... أتفهمين.... أنا عميل سري أميركي لكني وُلدتُ
وترعرعت في (تل أبيب).... هل فهمتِ الآن سبب خوفي من ردّة فعلك!

شهقت (سارة) بآلم....

_ العرب يكرهون اسرائيل, مثلما يكره الأسرائيليون العرب....

نشأتُ وترعرعت على هذه الحقيقة.... وأنتِ....

_ لا يهمني هذا الأمر.... (جو)....

زفرت (سارة) بآلم....

_ أن كنتِ لاتكره العرب والمسلمين, فأنا لا أهتم به مطلقاً....

ولن يغير دينك أو جنسيتك من الأمر شيئاً....

شهق (جو) بآلم وأدمعت عيناه....

_ أو تعلمين.....

_ ماذا يا (جو)!!

_ أرجوكِ إرتدي قفازي فيداك تبدو ان باردتين..... هل هما كذلك.....

حاول (جو) الإمساك بيدي (سارة) لكنها سحبتها فوق حجرها أستحياءاً فرفع قفازيه نحوها.....

_ إلسيهما..... ساره..... أنا أُصرّ على ذلك...

قال بصوتٍ حانٍ.....

_ شكراً لك..... ماذا كنت نقول يا جو.....

رفع جو نظراته إليها وزفر بعمق...

_ أنتِ..... أنتِ..... نادرة الوجود يا ساره! لا يوجد مثلك شخصٌ تعرفتُ عليه أبداً..... (سارة) عزيزتي.... أريد أن أحذرك من شيء قبل أن نفترق, وأنا أُدين لكِ بحياتي.....

_ ما الأمر يا جو.....

قالت (سارة) بصوتٍ حانٍ, فلانت نظرات (جو) وشعر إنّه يودّ ضمّها إلى صدره.....

_ عزيزتي..... قولي لأخيكِ (سمير) أن يبتعد عن هؤلاء الأصدقاء الجدد الذين يتعامل معهم..... أرجوكِ..... حاولي إبعاده.....

بأن القلق والخوف فجأةً في نظرات (سارة), فتساءلت بسرعة

_ ماذا تعني يا جو؟؟ أرجوكِ.....

_ ساره الغالية.... أوه يا ساره.... هذه المعلومات في غاية السرية لكنني أمام عينيك لا أستطيع الصمود.... أن أخاك يتعامل حالياً مع إرهابيين مطلوبين للقانون بتهم التفجير والقتل.... وأنا... وأنا....

ونظر (جو) بقلق وجدية إلى (سارة) مركزاً نظراته عليها....

_ أخشى يا عزيزتي, أن يرد اسمه في قائمة المطلوبين للعدالة!!

أرجوك.... حاولي منعه عن الاختلاط لهم وأبعديه عنهم....

قال (جو) ذلك ونظر الى ساعة يده... نهض بقلق...

_ سأذهب الآن.... لكن.... ساره... أرجوك... هلاً أتصلت بي هذه المرة أن أحتجت أي شيء....

قال ذلك بصوت رقيق وهو يقرب وجهه منها مائلاً بجسده نحوها, فرفعت (سارة) نظراتها لتلقي بعينيه اللتين أحبتهما بكل ما أوتين من قوة في قلبها, فهزت رأسها موافقةً وهي تقول....

_ سأتصل بك هذه المرة يا جو.... لأنني فهمت طبيعة عمالك وخطورة وضعك وشدة انشغالك....

_ عزيزتي! سأكون أسعد أنسان... ألى اللقاء الآن يا (سارتي)!

_ معطفك! أنتظر! جو!

_ إتركيه معك, لا أحتاج إليه....

ذهبت ساره الى منزل أهلها كي تحذر أباها (سمير) كما أخبرها (جو) بذلك, لكنّها لم تعرف كيف توصل له تحذيرات (جو) بدون أن تجعله يشك بأمرها, أو أن يسألها عن مصدر معلوماتها....

ظلت (سارة) تفكر في طريقة تمنع فيها أباها من الأختلاط بأصدقائه الجدد، فأخذت تتقرب من زوجته وتسالها عن عمل (سمير) الجديد الذي ترك المطعم بسببه ونصرت (النقود) التي أخذت تزداد على عائلة أخيها على حين فجأة.... قالت لها زوجته اللبنانية الأصل، أنّ (سمير) بدأ يعمل في شركة مقاولات، وأنّ الله قد عوّض صبرهما خيراً، لكنّ (سارة) لم تصدّق ذلك الأمر، لعلها مسبقاً بما أخبرها (جو)، الذي وثقت بكلامه أكثر من ثقتها بكلام زوج أخيها التي ظنتها مغرّرة ولا تعرف عن أمر أخيها شيئاً..... فكرت (سارة) كثيراً في أمر (سمير) الذي لم يكن يتحدث عن تفاصيل عمله عندما تتعمد (سارة) سؤاله، ويحاول التهرب منها قدر الأمكان..... ولذلك قررت (سارة) لضيق وقتها في مكوثها عند أهلها، أن تفعل شيئاً مهماً كلفها الأمر،

وبذلك عقدت عزمها على متابعته والذهاب الى مقرّ عمله لتضعه أمام الأمر الواقع.... وهكذا استعارت (سيارة) والدها وتبعته (سمير) في صباح اليوم التالي بعد عدة أيام من زيارتها لمنزل والدها كي تعرف طبيعة عمله وكي تكمله بشكل خاص، هي وإياه فقط....

ظلت تتبعه خفيةً (أو هكذا ظنت أنها فعلت) حتى وصلت الى مبنى شركة حقيقي فأوقفت السيارة في مكان رصف السيارات وهبطت منها لتضع نظارات سوداء فوق عينيها وهي تنظر الى علو تلك البناية الشاهقة.... قامت بالسؤال عنها من موظف الاستقبال فأخبرها أنّها شركة تصدير وإستيراد، وهنا، شعرت بيد تلامس كتفها وسمعت صوتاً مألوفاً خلفها، التفتت مذعورة، فأبتسم لها ابتسامته التي أحببتّها منذ صغر سنّها وهتفت به بسعادة.....

__ سمير! كيف حالك؟!!!

__ بخير! أعتقد أننا ألقينا التحايا على بعضنا هذا الصباح عند الفطور.... ماسبب تشريفك لي بهذه الزيارة المفاجئة؟ ثم؟ ألم يكن من الأفضل إذ تخبرني بدلاً من السير بسياره أبي خلفي حتى ظننت أنّ هنالك أحداً يلاحقني....

_ يلاحقك! معاذ الله! كنتُ أودّ فقط أن أعرف مكان شركتك!

_ ساره! تعالي الى مكتبي.... أرجو أن تطلب لنا كوبين من القهوة لو سمحت,
وأبلغ (سكرتيري) أن لا يُدخل عليّ أحداً مهما كان, هل هذا مفهوم....

_ أمرك سيدي...

قال الموظف مذعناً, بينما أمسك (سمير) بذراع (سارة) برقةٍ فيها نوعٌ من القسوة
المكتومة والتي لها عبر نظراته المتشككة.....

_ ما الأمر! أخبريني الآن يا (سارة)!

كشّر (سمير) عن أسنانه وهو يغلق باب مكتبه ملتفتاً الى (سارة)

_ أنتِ لستِ (سارة) التي عهدتها منذ الأمس؟ فحتى زيارتك لنا, كانت غريبة
وعلى غير مواعيدك الثابتة؟ فماذا جرى؟

_ أردتُ أن أعرف طبيعة عمالك الجديدة, لاغير.... هل ذلك فيه خطأ؟

_ آه! هل أصبحتِ ولية أمري فجأة يا (ساراتي) الصغيرة؟

_ كلا! معاذ الله!

هتفت (سارة) ثم حارت جواباً وفكرت في حجة مقبولة, لكنها لم تصل الى أية
نتيجة فهرعت نحو سمير ترتمي فوق صدره وتحيطه بذراعيها...

- أخي الحبيب!

- ماذا بك يا ساره! هل أنتِ بخير!؟

- أنتَ تعلم, أني أحبك كثيراً.... تعلم هذا.... أليس كذلك؟

- نعم!

- وأنني لا أستطيع أن أخبرك سرّاً عنك....

- تكلمي يا ساره! قللي بسرعة....

- هل ستساعديني في كل الأحوال, ولن تتخلي عني....

- أبدأ لا, ساره, تكلمي, لقد تجمدت الدماء في عروقي, ما بك؟
- أنا! أنا!....
- لمَ لا تتكلمين يا أختاه! أرجوك (سارة)....
- ضمّها إليه مرةً أخرى وهو يقبّل رأسها....
- أنت الأثيرةُ عندي وأنتِ تعلمين يا غالية....
- هل, هل.... يجوز لي أن أُعجب بشخص ما, ليس عراقياً, وليس عربياً....
- أه! صغيرتي!
- رفع رأسها بأنامله وتفرّس النظر في عينيها...
- _ حبيبتي الصغيرةُ قد كُبرتْ... _
- إبتسم بسعادة وأردف....
- طبعاً... يمكنك أيتها العزيزة.... ولكن.. هل هو أميركي....
- نوعاً ما!
- نوعاً ما.... (سارة) ماهي جنسيته بالضبط....
- سأقول لك بدون لفٍّ أو دوران لكن, عدّني أن لاتخبر أحداً بسرّي هذا...
- أرجوك... لا أمي ولا أبي ولا حتى زوجتك....
- _ أعدك! لطالما حفظنا أسرار بعضنا البعض يا سارتي!؟
- حسنٌ... _
- رفعت عينيها نحوه وابتعدت عن صدره بارتباك...
- _ إنه يهودي....
- _ رحماك يارب!... هل ضاقت الأرض ونفذ الرجال منها؟
- _ سمير!
- هتفت (سارة) بألم... فتدارك (سمير) الأمر بقوله....
- أنا لستُ ضدّ دينه, هل سيرضى بتبديل ديانته لأجلك عزيزتي! فكري بمنطقيه!
- في مذهبنا وشريعتنا.... من الحرام عليك الارتباط برجل غير مسلم, ألا أن ترك ديانته واعتنق الإسلام, وإلا, فلسوف تكونين في علاقة غير شرعية معاذ الله!

- إرتمت (سارة) على مقعد المكتب الجلدي بتهالك, ذاك الذي وضع أمام مكتب (سمير) حيث كان واقفاً يتحدث....

_ لا أعلم.... لربما يغير دينه؟

تمتمت (سارة) بوجلٍ وتشكك.... هتف (سمير) بها....

_ عزيزتي! أنتِ تعرفين كم أحبك.... وأنا أريد لك السعادة, لكنّ.... أنا, نحن رأبي الشخصي.... أتمنى لو تتركين هذه العلاقة, قبل أن تتعلقي به.... كي لا ينصدم قلبك الصغير....

رفعت ساره أهدابها السوداء ونظرت إلى أخيها بعينين دامعتين ماذا تقول له... هل تقول له, إنها عرفته مرةً قصيرة, لكنها أحبته دهرأ, ولم تستطع نسيانه؟ ماذا تقول إذاً لأذت بالصمت, بينما هتف الأخ بأخته بعد دخول صبي الشاي الى مكتبه....

_ هلمّي وتناولني قهوتك....

تناول الأثنان القهوة صامتتين وكانّ على رأسيها الطير.... كانت (سارة) تفكر في طريقة تستطيع بها سير أغوار أخيها الذي شعرت أنّه يختبئ سرأ, كونه قلقاً منذ اللحظة التي وضعت ساره قدمها على أرضية تلك الشركة المزعومة...
_ أخي الغالي (سمير).... لقد بحثُ لك بسري, فهل ستخبئ على أختك أي سر.....

_ كلا! مستحيل أن أفعل.... لكن يا غاليتي.... أنت أجمل فتاة في هذه الدنيا, وأوسم رجلٍ سيركع تحت قدميك.... دعي عنك هذا اليهودي النجس! نحن لا نحبُّ اليهود وأنتِ تعلمين....

_ من تقصد بـ(نحن)!

_ ماذا! أعني المسلمين جميعاً!

قال بعد تردد وارتباك, فهتفت ساره بحزم...

_ لم أسمع يوماً ما من والدي أي كلام سيء عنهم....

_ ماذا عمّا ذكر في القرآن!

كان ذلك في زمن موسى وليس الآن....

_ القرآن يشمل جميع الأزمنة!!

_ هل تعني أنه عندما يخاطب رسول الله, يخاطبه الآن!

أو عندما يحدثه عن معركة أحد, وخذلان أصحابه له, يقصد بهم أصحاب هذا الزمان! كلا.... لقد تحدث القرآن عن زمن معين نكث فيه اليهود عهد نبيهم....

_ هل جئت لتحدثني عن تفسير القرآن يا ساره!

قال سمير لأخته معاتباً, فنظرتة بدلال وهي تضع أناملها بين خصلات شعرها وتلاعب بها أمام وجنتها....

_ أخي الحبيب.... أنا جئت لأجلك فحسب وأنت تعلم كم أنت أثيرٌ لدي...

_ ما الأمر ياساره! قل لي فوراً....

ركزت (ساره) عند ذاك نظراتها على أخيها وقالت بحزم....

_ يجبُ عليك أن تدقق في أعمال شركتك وشركائك المعزومين, أرجوك

ياسمير, فأنا قد سمعتُ كلاماً عن عدم مشروعية أعمال هذه الشركة يا أخي الغالي....

فجأةً تغيرت سحنةُ وجه (سمير) واكفهرت قسماته وزمجر بغضب وهو ينقضُّ على ذراعي أخته ممسكاً إياها بقوة....

_ من الذي أخبرك بهذا, هه! أخبريني فوراً!

تفاجأت ساره من ردة فعل أخيها وانتفضت واقفة ونظراتها تلتهب غضباً على أخيها واستنكاراً....

_ أو هكذا تعاملني كوني خائفةً عليك....

_ قل لي فوراً من أخبرك بهذا الكلام!

_ سمير! دعني فوراً! أنا أحذرك! ستخبرني إلى الأبد! دعني! قالت (ساره)

وهي تنظر أخواها بنظرات تتطاير شرراً.... فأرخی سمير (قبضته) على

ذراعيها, وعندما غادرت (ساره) المكتب وهي تبكي أسىً وغضباً, وقلبها يعتصر ألماً....

_ اقد أردت تحذيره فحسب!

أخذت تضرب مقود سيارة أبيها وهي تقود عائدةً الى منزله, بينما تبعها أخوها بسيارته, وما أن وصلت الدار حتى قامت بحزم حقيبة سفرها كي تعود الى جامعتها, تحت مرأى زوجة أخيها ووالدتها المذهولتين لتصرفاتها تلك, عندما دلف (سمير) المنزل و أمسك بذراعها وشدها إليه....

_ إلى أين العزم يا بنت أمي وأبي!

_ ليس من شأنك.... دعني أذهب...

_ كلا! ليس قبل أن تخبريني من أين لك هذه المعلومات!

_ ماذا يحصل يا (سمير).... يا ولدي, قل لي مابها (سارة)!

صاحت الأم بلهفةٍ وخوف فألتفت (سمير) نحوها وزوجته ترقبه ممسكةً بذراع والدته وهي تنظر إليه بقلق....

_ إبنتك المصون, بنت الشرف والحسب والنسب.... تحبّ...

_ ماذا!

نظرت (سارة) إلى (سمير) غير مصدقة ماتسمعه بينما صرخت الأم بدهشة, وتابع (سمير)....

_ وليس أيّ شاب.... لا.... إنها تتخلى عن دينها وعرفها وكل ما ربيناها عليه.... تحبّ يهودياً كافراً! تحبّ يهودياً نجساً!

_ رباه! ساره! هل ذلك صحيح!؟ يا إلهي!

_ إمي! أرجوك... دعوني أعود الى الجامعة.... إمتحاناتي النهائية على الأبواب وعام التخرج على وشك الانتهاء.... أمي....

_ لا! لن تذهبي الى أيّ مكانٍ عزيزتي!

صرخ (سمير) بأخته وهو يشدها بقوة....

_ هل حبيب القلب من أخبرك بطبيعة عملي!

إرتجفت (سارة) وهي تنظر إلى عيني أخيها المستعرتين غضباً....

_ كلا! أماه! إنّ إبنك يعمل مع الأرهابين وجئتُ أحذره!

_ لا! سمير! لا!

صرخت زوجة سمير وهي تمسك بطنها المكورة بينما تمسك طفلتها الصغيرة بساقها اليسرى وهي تبكي.... صرخت الأم بغضب....

_ عمّاذا تتكلمين!

_ ما الذي تقولينه يا فتاة!

هزّ سمير ذراع (سارة) بقوة وهو يصرخ بغضب.....

فصاحت (سارة)....

_ جبّئتُ أُحذرك وكنّتُ أستطيع عدم الكلام مطلقاً! لقد خشيتُ أنّك لا تعلم شيئاً,

ولكنّ... من الواضح أنّك تعلم ولا تتكلم....

أنا آسفةٌ ...

لأنني جبّئتُ إليك وحذرتك! آسفةٌ حقاً!!

_ ساره!

هتف (سمير) وهو ينظر دموعها الحرّى فلانت نظراته وقبضته على ذراعها وعند ذلك هرعت نحو غرفتها عبر السلم وهي تبكي حاملةً حقيبة سفرها على

كتفها....

قررت العائلة في صباح اليوم التالي, ترك (سارة) تغادر الى جامعتها, والسماح

لها بأكمال هذه المرحلة الأخيرة لتتم خطبتها على ابن عمها بأسرع وقت...

بقيت (سارة) حبيسة غرفتها لعدّة أيام, عندما جاء العم وأبنة وتمّ بين الأخوين

(والد ساره وأخيه) قراءة الفاتحة والأنتفاق على زواج (سارة) من ابن العم...

جاء ابن العم حاملاً خاتم الخطوبة وتمّ عقد حفلة خطوبة سريعة,

كانت (سارة) تشعر معها أنها مجرد كبش فداء يُساقُ الى مذبحه....

قبلتها زوج أخيها (وهي تعدّ تسريحة شعرها), من خديها وهي تتأمل جمالها

بارتدائها ثوباً أحمر قانياً زاد بهاءها وحسنها, بينما كانت (سارة) تنظر نفسها

في المرآة, مجرد (تحفة) فنية خاوية بلا روح تساقُ إلى متحف آخر.... من

بيتِ الى بيت ومن متحف الى متحف دون شعور ولا حب ولا انسجام

أحاسيس...

_ جو!

صرخت (سارة) وهي تنهض من نومها في غرفتها في الطابق العلوي...
لقد قضت تلك الأيام باكيةً فوق وسادتها وهي تضع معطف جو كلما أرادت
النوم فوق سريرها لتستذكر تلك الذكرى الجميلة التي جمعتها معه, لما أعترف
لها بإعجابه بها.....

كانت تمسك بإكمام المعطف وتضمها الى عينيها الباكيتين لتغرقهما بدموعها
وهي تردد أسم (جو)...

لم تستطع أن تفعل شيئاً بعد حماقتها تلك ووثوقها بأخيها الذي ظنت أنه أهلٌ
لثقتها ومشورتها وأنه كان من الممكن أن يساعدها في (زيجتها) بمن تحب...
عندما عادت (سارة) الى شقتها المشتركة مع (جوان) وجدت صديق (جوان)
ماكثاً عند صديقتها, ألقى التحية عليها وأنصرف ما أن رآها.... رحبت (جوان)
بصديقتها, لكنها شعرت أنها ليست على ما يرام....

_ ما بكِ ساره! ما الخطب!

_ لا شيء (جوان)....

_ ماذا, ماذا؟ هل أصبحتِ تخبئين أسراراً عليّ....

رفعت (سارة) عينيها نحو (جوان) فلم تحتمل عدم البكاء, ضمتها جوان الى
صدرها وهي تهوّن عليها....

_ لقد خطبوني الى ابن عمي رغماً عني! هذه السنة ستكون الأخيرة لي هنا,
ولن أتمكن من المجيء بعدها.... أبدأ... أبدأ....

ذلك قرار أسرتي لقد سعدو بخطبتي أيما سعادته....

_ يا إلهي! وبدون موافقتك! في أيّ قرنٍ نحن!

_ تلك هي أعرافنا وتقاليدنا.... آه, جوان.... أنا... أنا لا أعرف ماذا أفعل!؟؟ لا
أعرف....

_ لربما يكون ابن عمك شخصاً طيباً.... تعرفي عليه!

نظرت (سارة) الى صديقتها بغضب وكتمت صرخة ألم في صدرها...

_ مستحيل! أنا لا أتقبله نهائياً.... شتان بيننا! مستواه الثقافي غير مستووي...

وأنا لا أطيق الجلوس معه لربع ساعة, فماذا عن حياة كاملة معه.... كلا.....!
سأموت قبل أن أتزوجه.... سأقتل نفسي...

_ ساره! حبيبتي.... إهدئي الآن... إهدئي....

عندما حل المساء وخرجت (جوان) برفقة صديقها الى مطعم ما في موعد
عشاء, حملت (سارة) الهاتف... وبتردد ضغطت الأرقام التي تحفظها عن ظهر
قلب... ترددت لثوان.... فصلت الخط....

أجهشت بالبكاء... ثم عادت تضغط الأرقام مرةً أخرى.... إنتظرت... رن
الهاتف في الجهة الأخرى.... وفجأة سمعت صوتاً حنوناً دافئاً أحبته دوماً
وطربت لسماعه أذناها أبداً....

_ مرحباً! من هناك!

لاذت بالصمت.... تنهدت ولم تستطيع الكلام.... بعد ثوان قليلة هتف...

_ ساره! ها أنتِ سارتي الغالية!؟ وأخيراً اتصلت....

لم تستطع الكلام, فقط البكاء كان ماتستطيع فعله, فسمع (جو) صوت تقطع
أنفاسها ونشيجها المستمر....

_ هل أنتِ بخير.... ساره! ساتي إليك.... أين أنتِ!؟

_ لا.... لا.... (واستمرت بالبكاء)....

_ ساره! أرجوك... قل لي ما الخطب.... حسنٌ... لا تقولي...!

أغلق جو الاتصال, بينما ضمّت ساره رأسها بين ساقها وهي ترمي الهاتف
على الأرض تبكي بجنون....

_ ساره! ما الخطب!

فجأة, وجدت (سارة), ذلك الإنسان الذي لطالما حلمت برويته أمامها, وفي
غرفتها, واقفاً تماماً أمام سريرها, وقد كانت لا تزال عند ذاك واضعةً رأسها بين
ساقها....

_ ساره!

صاح (جو) بقلق وقفز نحوها ليضمّها إليه....

_ هل الأمر بهذه الخطورة! قل لي... بسرعة, أخبريني....

_جو!

لم تصدق (سارة) أنها (فعالاً) بين ذراعي(جو).... رفعت رأسها نحوه... كان ينظرها بقلق وحب, نظرات ملؤها الحنان....

_ لقد... لقد ذهبتُ لتحذير أخي كما قلت لي... كنتُ... كنتُ .. قد أخبرته عنك... لقد تغيّر (سمير).... لقد أصبح شخصاً آخر....

لا أعرفه... لقد أخبر أسرتي كوني ... كوني.. (وتلعثمت)..... معجبةً بك, وحينها... انقلبت السماء على الأرض وقرروا تزويجي بأبن عمي وأقاموا حفلة خطوبة لي... رغماً عني... أنظر هذا الخاتم... كم أكرهه!

وأجهشت بالبكاء وهي ترفع أنامل يدها لتُظهر له الخاتم فلاذ (جو) بالصمت, لكنّ نظراته تحولت إلى نظرات قاسية وكأنّه يودّ الانتقام من أهلها ومن ابن عمها, عندما لانّت نظراته فجأةً وهو يرفع وجهها إليه بأنامله...

_ أنا أحبك يا ساره! إنظري... هذا مجرد (معدن)... مجرد خاتم تافه إخّليه الآن ولا تبالي.....

نظرت (سارة) الى (جو) غير مصدقةٍ ماتسمعه منه.... بينما رمى (جو) الخاتم على أرضية الغرفة..

_ هل تريدني أنا أم لا! ها... قولي لي... هل توافقين على تلك المهزلة التي حصلت في منزل والديك...

هزّت ساره رأسها بالنفي وهي تبكي.... أوقف (جو) رأسها عن الحركة ومسح دموعها بأنامل يده الأخرى وهو ينظر إليها بحبٍ وحنان, وفجأةً لاحت منه النفاثة إلى معطفه الأسود وقد وضعتّه (سارة) فوق سريرها ووسادتها فنظر إليها بسعادةٍ وحب كبيرين...

_ أو تحبينني لهذه الدرجة يا غاليتي....

شعرت (سارة) بالاحراج لما شاهده (جو), لكنها لم تعدّ تبالي بعد ما فعله أهلها معها وهزّت رأسها دلالة الموافقة.... وهي تبكي ...

_ حبيبتني.....

ضمها (جو) إليه بقوة....

_ لا تخافي.... لا تخافي أبداً.... أنتِ معي... هل تفهمين.... لم أتركك أبداً, أبداً
لن أتركك.... إسمعي... يمكننا الذهاب الى أية محكمة مدنية لنعقد قراننا ونضع
أهلك أمام الأمر الواقع....

_ ماذا!

_ نعم! أنا أريد الزواج منك! هل توافقين! أعلم إنه كان عليّ أن أجعل الأمر
أكثر رومانسية, لأنني أحبّ أن أفعل هذا معك, لكنّ, الظروف غير مواتية الآن
وأنا مضطر لطلب يدك بخاتمي الأوحد هذا....

قال (جو) ذلك وهو يجثو على ركبةٍ واحدة هابطاً من سرير (سارة) حيث كان
جالساً قبالتها.... رفع يده وهو يمسك بيد ساره حاملاً خاتمه الفضي.... شهقت
(سارة) غير مصدقةً ماتراه وتسمعه....

_ سارتي الجميلة.... أميرة قصتي.... هل توافقين على الزواج من (جو)
الأحمق هذا! (جو) الذي تركك طيلة تلك السنوات خشية ردة فعلك لو علمتِ
بدينه, وهو لا يدري أنك تحبينه لشخصه,

أكثر من أي شيء في هذا العالم مثلما يحبّك هو, أكثر من كل العالم,
_ جو! أنا.... (وبكّت بسعادة وهي تهزّ رأسها).... نعم, نعم, نهض جو ليقبّل
رأسها ويلثم أناملها بشفتيه....

_ جو! لكنّ... هناك مسألة واحدة.... عقبة واحدة.... كبيرة!

_ ماهي, قل لي ياغاليه! لا عقبة أمام حبنا أبداً!!

_ في ديني ومذهبي, لا يجوز لي الزواج إلا من مسلم وإلا فأنا....
أنا أعتبر زانية!

_ لا بأس.... سنرى في هذا الشأن.... أنظري, أنا لست متعصباً مثل والدتي...
ثم ماهو الإسلام.... أو ليس الأقرار بالشهادتين.... لا, لا تتفاجئي, أنا أعرف
كل شيء عن الإسلام.... حسنٌ.... سوف أعلن إسلامي أمام شيخ شيعي ونتمّ
زواجنا المدني بدون أن يتدخل أي شخص في حياتنا.... نحن بالغان وليس لأحدٍ
حق الوصاية عليك حبيبتي.... هل أنتِ معي في كلّ هذا....

_ نعم, نعم....

رددتُ بسعادة غير مصدقةٍ ما تسمعه.... لكنها تذكّرت فجأة....

_ ولكن, تغيير أوراقك يتطلب وقتاً حتى تتحول الى مسلم....

_ سيتفهم الشيخ عندما نشرح له ظروفنا, ولسوف أُغيّر أوراقي في وقت لاحق... ما رأيك (سارة).... هه....

إبتسمت ساره بسعادة, غير مستوعبةٍ أنها قد أنقذت من برائن أسرتها بهذه السرعة....

_ هيا, هلمي.... الوقت يمضي....

قال (جو) ذلك وهو يشير الى ساعة يده, وهنا هتفت (سارة)

_ لكن, قل لي بالله عليك, كيف دخلت الشقة!؟

أبتسم (جو) وهو ينظر إليها بمكر....

_ هل نسيت من غير لك قفل الباب بعدما دخل ذلك المجرم الذي أراد قتلي

وقتلك.... هل نسيت كل شيء يا ساره.... أنا لذي نسخةً من مفاتيح شقتك يا

عزيزتي.... لا أعرف كل شيء عنك.... ولعلمك... طوال تلك السنوات لم

تغيبي عن ناظريّ, كي أتأكد من سلامتك فأنا.... وضعت كاميرات خفية,

وأيضاً كاميرات تنصت...

قال ذلك وبحركة من يده أظهر لها من تحت مكتبها جهاز تنصت.... بينما أراح

عن ركنٍ من الكتب فوق الرفوف كاميرا تصوير....

شهقت (سارة) بذعر وهي تنظر باستنكار إليه....

_ أنت!.... لكن لماذا....

_ لماذا.... لماذا....

_ شد (جو) ساره نحوه بسرعة...

_ لأنني أحبك.... هذا هو السبب...

توردت وجنتا (سارة) ولم تعد تدري بم تجيب فأطرقت بحياء....

_ هل تأتين معي الآن أم لا....

_ ماذا سنفعل الآن....

_ نَعقد قراننا... في جامع قريب... هيا, هيا....
إحمرت وجنتا (سارة) وأسرعت بأخراج ثياب مناسبة للخروج, بينما هتف
(جو)....
_ سأنتظر خارج الغرفة.....

وبينما كانت على وشك تبديل ثيابها مباشرةً, تذكرت وجود الكاميرا... فشعرت
بالإحراج الشديد وذهبت خلف ساتر تبديل الثياب....
كان (جو) يقضم تفاحةً استخرجها من ثلاجة (سارة) المشتركة مع زميلتها وهو
يرتدي معطفاً أزرق غامقاً, عندما خرجت (سارة) من غرفتها وهي تتساءل
وتشير بيدها نحو غرفتها...

_ هل وضعت كاميرا أيضاً خلف حاجز تبديل الثياب....
رفع (جو) عينيه نحوها وغمزها ضاحكاً....
_ ربما! حاولي أن تبحثي عنها...
_ أيها الخبيث....

ضربته على كتفه بينما كان يضحك وهو يجرها من ذراعها نحو خارج
الشقة.... عندما أستقلا سيارة أجرة, همس في أذنها....
_ كنتِ معي في كل ليلة.... أرى حركاتك وهمساتك في الشقة...
أعرف كل شيءٍ عنكِ وأنتِ لا تعلمين....
رفعت (سارة) عينها إليه غير مصدقة...

_ ولماذا تركتني أتعذب إذاً.... (قالت سارة بغضب) فأجاب بحنان:
_ لأنني جبان... خشيت أن أخسرك... خشيتُ أن تتركيني....
حافظت على ذكراي الجميلة تلك وأنتِ تطيبين جراحي و تناوليني الدواء
وتطعميني, ولم أستطع أن أتخيل شيئاً آخر يمكن أن يسيء لتلك الذكرى أبداً...
خفت عليكِ ومنك....

كانت ساره مندهشةً وهي تستمع الى (جو) يلقي الشهادتين أمام الشيخ ويتعهد
أمامه بالسير على نهج الإسلام, وعندما أطمأن شيخ المسجد الذي يضع فوق

رأسه عمامة سوداء, لما قاله (جو) له, وبعد أن شرح له تفاصيل قصته مع أهل (سارة) وكيف أنهم سوف يجبرونها على الزواج, (وبذلك سيكون عملهم أنكر من (الزنا)و ذلك لبطلان العقد والزواج كله).... عندها... قام الشيخ بعقد قرانها وهو يشدد على (جو) تغير أوراقه الثبوتيه لأعلان إسلامه عن قريب, فوافق (جو) على ذلك....

وقفا أمام شقته, ونظرت إليه غير مصدقة أنها ستعود إلى ذلك المكان, حيث هربت معه إليه من اولئك المجرمين في أجمل مغامرة يمكن أن تخوضها فتاة ما.... شعرت بسعادة عارمة تداعب أحاسيسها وهي تنظر إلى (جو) ينظرها بنظرات ملؤها الحب والسعادة, وقد كان ممسكاً يدها أمام باب الشقة... وبحركة من يده, فتح قفل الباب بواسطة البطاقة ودفع الباب بقدمه, ليستدير نحو ساره ويباغتها بحركة من يديه حملها فيها فوق ذراعيه فصاحت بسعادة...
_ ماذا تفعل!

_ ماذا أفعل!... أتعرف عليك عزيزتي.... زوجتي الحبيبة....
تبادلا نظرات الحب والعشق قبل أن يدخل جو حاملاً (سارة) على ذراعيه ويُغلق الباب خلفهما بقدمه الأخرى....

_ القهوة, حبيبتى الغالية.... قومي يا كسولة... لديك دوام....
هتف (جو) بساره وهي نائمة فوق سريره, نهضت تتنأب وهي تقول
بغضب....

_ أنا لا أزال نعسانه! لا أستطيع النهوض.... لقد نمنا متأخرين...
_ كانت سهرة رائعة حبيبتى...

هتف (جو) وهو ينظر الى (سارة) بحب, فنظرته بدلال ...
_ كفّ عن هذا (جو)!! أرجوك....

_ اليوم وبعد انتهاء دوامك سنذهب الى المحكمة المدينه لنوثق زواجنا... هل هذا مفهوم...

_ بهذه السرعة! (هتفت ساره بدهشة)

_ ستكونين مدام جيكوب.... مدام (جو جيكوب ميخائيل) بكل الأوراق الرسمية,
وفي قانون محكمة الولايات الأميركية وأمام الجميع....

_ حبيبي (جو)! أنا لا أصدق! أنا أخشى أن تذهب كل هذه السعادة مني....
أنا.... لا أصدق أنني معك الآن....

_ حبيبتني.... صدّقي... مادمتُ معكِ, لن أدعَ أحداً يؤذيك....
أيتها الحبيبة الغالية....

قال (جو) ذلك وهو يطبع قبلةً على جبينها بينما وضع شيئاً ما قربها..... هتف
بها وهو يخرج من الغرفة....

_ هيا, أسرع, سأوصلك الى الجامعة...

تمايلت (سارة) وهي تحاول النهوض من فراشها, فلاحت منها التفاتةٌ نحو
جانبها الأيسر, فإذا بها تجد وُرْدَةً بيضاء بساق طويلة وأوراق خضراء قربها
وفوق وسادتها البيضاء....

شعرت بسعادةٍ (لذيذة) تداعب مشاعرها, رفعت الوردة لتضعها فوق خدها
وتشم عطرها بغنجٍ وسعاده.... نهضت لترتدي ثيابها وتلحق ب (جو) الذي
أحاط بخاصرتها بذراعيه وهو يضمها من الخلف ويطبع قبلاتٍ عدةٍ على عنقها
وخديها....

_ أحبك غاليتي.... أحبك زوجتي الحبيبة....

_ هيا... سأتأخر....

_ سأراك بعد الجامعة... وبعدها نعقد زواجنا المدني, سأنتظر هنا....

أتفهمين... لا تتأخري عليّ حبيبتني....

قال (جو) ذلك وهو يقبل ذراعها بينما كانت تحاول الإفلات منه, وبدلال
وحركاتٍ غنجٍ أفلتت ذراعها وأسرعت بإرتداء معطفها وهي تحتّ (جو) على
الخروج بسرّعة...

إحتسى (جو) ماتبقى من كوب قهوته وأسرع بإرتداء معطفه الأزرق المعلق
قرب باب شقته فوق خطاف ملتصق بالجدار وبعد الجامعة, وبعدها أخذها (جو)
الى المحكمة المدينة وعقدا قرانهما وأصبحا زوجين أمام القانون, همس (جو)

في أذن (سارة) وهو ينظر إليها بسعادة بالغة بينما ضمّها إليه بذراعه وهما في مطعم فاخر....

_ حبيبتي, مدام جيكوب.... أنا أريد (ستة أطفال).... ثلاث أولاد وثلاث بنات.... ديفيد, وإيزاك وشمعون... على أسماء أجدادي وأخوالي, وراحيل (على أسم أمي), (أديرا), و(إليان).... هل فهمتِ ما أريد حبيبتي.... هه, قل لي (سارتي)....

قال ذلك وهو يقبل وجنتها, فرفعت عينيها نحوه بسعاده....
_ سأكون أسعد إنسانة بمنحك هؤلاء الأطفال.... حبيبي... أحبك....
نظر (جو) إليها وتكلمت عيناها فصمتا عن الكلام, تشابكت أصابعها فوق المنضدة أمامها....

_ حبيبتي.... لن تتأخري عليّ!

هتف (جو) بساره وهو يوصلها الى شقتها المشتركة مع (جوان)....

_ كلا, حبيبي! مطلقاً.... سيظلّ موعدنا نفسه...

قالت بصوتٍ خفيض وكأنها تخشى أن يأخذ أحدٌ ما سعادتها تلك منها إن سمعها من بين شفتيها.... طبع (جو) قبلةً في الفضاء.... دلفت الى شقتها وقلبها يقفز سعادةً وأخذت تلتف حول نفسها وترقص في الفراغ, عندما هتفت (جوان) بها ضاحكةً....

_ أنني أراك كل يومٍ في حال جديد.... لم أعد أدري ما أقول!

آه, نسيْتُ أن أقول لك شيئاً.... آه... لقد أتصل بك شخص ما, قال أنه أخوك...

آه, نعم.... تذكرت... إنه (سمير) (سمير) الذي لطالما حدثتني عنه!

_ سمير!!....

تجمدت (سارة) في مكانها, وتوقفت عن الرقص مع نفسها وهي تتخيل إنها

تراقص (جو)....

تناولت الهاتف ويداها ترتجفان.... ضغطت أرقاماً وانتظرت....

_ ساره! هل هذه أنتِ....

_ ماذا تريد يا (سمير)? (قالت بصوت مرتعش يشوبه الغضب)

_ لقد, أردتُ أخبرك أنني قادم لرؤيتك اليوم.... سأصل عند المساء.... أريدك أن تقابليني في هذا المكان الذي سأصفه لك, وإجلبي معك حقيبته صغيره تركتها في حقيبتك.... هل تفهمين....

(سارة) ! إفعلي كما أقول بالضبط....

_ ماذا! متى وضعتَ حقيبته في حقيبتني!

_ إنها حقيبته سوداء صغيرة.... هديه لصديق يقيم هنا, وأنا أريدك أن تجلبها معك.... إسمعي... إنها مغلفه بعناية فلا تتلاعبي بها, هل اتفقنا.... أقصد الهدية بداخل الحقيبة....

_ نعم, نعم! لقد فهمت.... لا بأس.... متى قلت لي وأين.... دعني أدون ذلك, إنتظر.... حسن, هذا قلبي... نعم, نعم, سجلتُ ذلك... نعم (سمير), سأتي مادمتُ مستعجلاً.... لا بأس....

دوّنت (سارة) العنوان في ورقة اقتطعتها من سجل محاضراتها بشكل سريع.... نظرتُ بعد إن أغلقت الهاتف, إلى ساعة يدها, عرفت إنها سوف تتأخر في الوصول إن قضت الوقت في تبديل ثيابها وأخذ قيلولته قصيرة, فقررت الخروج فوراً.... تذكرتُ وهي تركب السياره أنها لم تتصل بـ(جو) لتخبره أنها سوف تتأخر.... ولكن لم تشتري (سارة) هاتفاً شخصياً منذ حطّم(جو) هاتفاً عندما أراد المجرمون الذين يلاحقونه قتلها, وذلك _ لأنّ أهلها لم يبدو إستعداداً مادياً لذلك _ وكانت تتصل بهم عبر هاتف الشقة, ولذا, شعرت (سارة) أنّ شراء هاتف شخص ترف مبالغ فيه, خصوصاً وإنها قد أنهكت كاهل أهلها بمصاريف الجامعة والسكن....

تنهدت وهي تنظر الطريق عبر نافذة سيارة الأجرة وطمأنت نفسها وهي تقول في سرّها:

((لا... لن أتأخر عنك حبيبي (جو).... سوف أقابل أخي وأسلمه حقيبته وأعود سريعاً للقياك))....

شعرت بلذّة تتأب أحاسيسها بسعادة خفية تدغدغ أنوثتها وهي تستذكر كيف أمسك (جو) جذعها وبدأ يراقصها على ألحان هادئة وضعها هو, وبينما كانت

تقول له أنها لا تعرف الرقص مطلقاً, كان يهمس في أذنها أن تتبع خطواته....
أمسك بيدها بإحدى يديه ولفّ يده الأخرى حول جذعها وبدأ يراقصها على تلك
الأنغام الغريبة الهادئة....

أغمضت عينيها وهي تتخيل عينيهِ الحنونتين, وثبّ قلبها من مكانه كلما تذكرت
كلماته وهمساته لها في الليلة الماضية.... هتفت في سرّها وقلبها يخفق بقوة...
((لن أتأخر عنك يا حبيبي))....

حلّ الظلام سريعاً وكان الطريق الى ذلك المكان حسبما وصفه لها أخوها,
طويلاً بعيداً جداً حتى ظننت (سارة) أنّها ظلّت الدرب....

وأخيراً وقف السائق في منطقة منعزلة نائية, قرب محطة تعبئة وقود, وأمام
بناية مهجورة قد تهدّم جزء منها وظهرت أعمدتها الفولاذية وجزء من سقفها
البالي.... هبطت (سارة) من السياره, وجالت الطرف في البناية أمامها, كانت
كئيبة خاوية لا حياة فيها, وكان هنالك كلب حراسةٍ ينبح أمام سورها المشبك
المهترئ في عدّة أماكن.... ولحسن حظها, فقد كان الكلب مربوطاً, وإلا لكانت
عرضةً لأن ينهش لحمها بأسنانه, لكنّ (سارة) تساءلت عن سبب وجود كلب
حراسه في بناية مهجورة, في سرّها....

فجأةً أغمضت عينيها بسبب ضوء كشّاف ظهر (على حين غفلة) وباتجاهها....
إقترب الضوء رويداً رويداً فصاحت (سارة)...

_ من هناك!

هتفت (سارة) وقلبها يخفق خوفاً ورعباً, فأجابها صوتٌ غير مألوف:

_ هل جلبتِ الصندوق! هل الحقيبة السوداء معك....

_ نعم!

تمتمت (سارة) بدهشة وهي تشد قبضة يدها على حزام الحقيبة أسفلها, وتابعت
دون أن تتحرك من مكانها....

_ لكنّ, أين (سمير).... أين هو؟

_ لم يستطع (سمير) الحضور.... لقد اعتذر عن القدوم... يجب عليكِ تسليمي
الحقيبة الآن, فتلك كانت تعليماته لي....

_ مهلاً! كلا! لن أفعل حتى أسمعه يقولها بنفسه!؟ أنا لا أصدقك, ثم أنني لا أعرفك يا هذا؟ لن أسلمك شيئاً..

قالت بحزم وإصرار, عندما شعرت بوجود شخص ثانٍ قريبها ولمّا التفتت, كان الأوان قد فات, فقد تلقت ضربةً بأخمص رشاشةٍ على أعلى رأسها أدت الى إغمائها سريعاً على إثرها....

فتحت عينيها لتجد نفسها في غرفة تملأ أركانها شبكات العناكب, وسقفها متهرئ وصباغ جدارها قد انقشع عنه في أغلب الأماكن بينما كان جزء من الجدار متهدماً في ركنه الشمالي كما حال السقف في ذلك الجزء, ولم يظهر خلف السقف أو الجدار سوى ظلام دامس وكان صوت الكلب وهو ينبح نباحاً خفيفاً يرجع مداه الى تلك الغرفة بين الفينة والأخرى.... نظرت (سارة) نفسها لتجد أنها مكمّته الفم, وقد رُبطت ذراعها من الخلف الى كرسي منخفض بينما ربط ساقاها ببعضهما البعض بحبلٍ متين.....

_ لف رجلٌ فجأةً من خلف الباب....

_ كان عليك تسليم الحقيبة بأسرع وقت.... كنّا سندعك تذهبين ... لكنّ... ليس بعد الآن فقد بتّ تعرفين الكثير....

_ من أخبرك عنّا!

شدّ شعرها بقوةٍ رجلٌ يقف خلفها فصاحت ألماً لكنها لم تتمكن من الكلام...

_ مع كل الأسف أنّ جمالاً كهذا لا يمكننا مسّه لأجل الزعيم....

_ لقد جلبت لها طعاماً....

هتف الرجل الأول وهو يضع صحناً صغيراً على كرسي آخر ويقربه الى كرسي (سارة) حيث رُبطت... شدّ الرجل شعرها مرّةً أخرى بقوة وصاح بها بصوتٍ أعلى....

_ هيا, أخبرينا, من الذي كشف عن سرّ شركتنا مع (سمير), أخيك... تكلمي...

أخذت (سارة) تصدر أصواتاً مبهمّة لأنّ فمها كان مكمماً بشريط لاصق... تقدم

الرجل من خلفها ليرفع اللاصق في جزءٍ منه وقرب وجهه منها.... كان رجلاً

في نهاية العشرين, كثيف الشعر أسوده وله لحيةً طويلة سوداء وشارب عريض... عيناه السوداوتان كانتا تتصدان....

صاح بها وهو يمسك ذراعها بعنف...

_ تكلمي بسرعة!

_ لن أتكلم!

صرخت (سارة) بغضب ما إن أبعد اللاصق عن شفتيها وأردفت تصيح....

_ سمير! أنقذني... سمير, أين أنت....

إرجع الرجل اللاصق على فمها وضربها على خدها صفةً قوية وهو يصرخ بها بغضب...

_ أيتها الحمقاء.... أخوك ليس هنا كيف له أن يأتي هنا بعدما أصبح أمره مكشوفاً من قبلك ومن قبل (اللهم لا نعلم من وكم عدد من يعرف بالأمر)... أخبريني فوراً...

_ سأخبر (سمير) بما فعلته معي! أيها الحقير....

صرخت (سارة) عندما رفع الشريط مرةً أخرى عن فمها...

_ تحدثي فوراً وإلا, فأنا سنتركك هنا, حتى تموتي ولن يعرف بمكانك أحد... هل تفهمين!

قال الرجل ذلك وهو يشدّ شعرها من الخلف بقبضة يده لتقرب وجهها إليه بينما يتوعدّها بنظراته الغاضبة عندما صاح بها....

_ كُلّي الآن طعامك بسرعة.... لو إنك سلّمتِ الحقيبة بسرعة لما جرى لك مايجري الآن....

تركها الرجلان بعد أن فكّ الرجل الأخير الذي كان يكلمها وثاق يديها لتتمكن من الأكل, لكنّه أحكم لفّ الحبل حول جذعها بالكروسي....

مرّ يومٌ وليلة على ذهاب (سارة) إلى مقابلة أخيها المزعومة دون لقائه, وقد

ظلت أسيرة بين أيدي أولئك الرجال الذين كان (سمير) قد شدد عليهم عدم

تعريضها للأذى بعد ما علم برفضها لتسليم الحقيبة وأضطرار أحد الرجال الى

ضربها على رأسها كي يأخذ تلك الحقيبة منها.... كان سمير يتابع أخبار

(سارة) عن بعد, لكنّه لم يعلم أنّ ذهاب (سارة) الى ذلك المكان وتسليمها ما أراد تسليمه, قد أدّى الى كشف موقع أصدقائه المزعومين, فلقد جاء (جو) في صباح اليوم التالي بعد ذهاب (سارة) لمقابلة أخيها, ألى شقتها, كونه انتظرها ليلة كاملة ولم تأتِ....

استعلم من صديقتها (جوان) عمّا جرى وتتبع موقع إحدائي المنطقة...
وبدأ بأعداد خطة محكمة للإيقاع بأولئك الشر ذمة...

كانت (ساره) قد عادت من دورة المياه لتُقيّد يداها مرةً أخرى بالكرسي, ويُعيد ذلك الرجل سؤاها الذي أصبح عذاباً من الجحيم وهو يرفع رأسها بشدّ شعرها من الخلف بقوة....

_ كم مرةً سألتكِ مَنْ وراء إخبارك بأمرنا ؟ وماذي تعرفينه عن نشاط شركتنا!.....

نظرت (سارة) بحنقٍ إليه وهي ترتجف لقد بقّيت من قيدها وتعذيبها بذلك السؤال المستمر من قبل ذلك الرجل وتكميم فمها إلا وقت الطعام وأستجوابها..... كانت تشعر بإعياءٍ شديد وعيناها تدمعان....

_ أنا لا أعلم شيئاً.... شعرتُ بأمرٍ غريب فحدثتُ أخي عنه لا أكثر!

_ آه! لو لا وصاية أخيك عليك.... لكنّ... لكنّ سأعذبك بشكل آخر حتى تعترفي... ولكن... لماذا الخوف من أخيك وهو خائف من مكان بعيد, يخشى أن تتكشف شخصيته للسلطات....

هلمي, سوف نقضي وقتاً ممتعاً وأنتِ تعترفي لي... لأن وسائل التعذيب البسيط هذه, لا تنفع معك, يا جميلتي....

ضحك الرجل الأشعث الشعر ضحكة صفراء وأشار لصديقه أن يخرج فأنصاع للأمر, بينما أسرع بإقفال الباب فأخذت (سارة) ترتجف وهي تنن من خلف الشريط اللاصق على شفيتها....

_ كم أنتِ جميلة! سوف لن تقولي شيئاً لأخيك أن لهونا قليلاً!

قال ذلك وهو يضع يده فوق عنق ساره ويمرر إصبعه فوق صدرها بينما أنفاسها تتسارع, وأخذت عيناه تلتمعان ببريق الشهوة, وهو يقرب وجهه نحو

عنق (سارة) ويحاول لثمه بشفتيه, عندما أستقر رأسه فوق عنقها وأرتمى بجسده فوقها ليتدفق الدم من فمه فوق ثيابها فأخذت تصرخ ولكن صوتها كان مكتوماً بذلك الشريط كانت تناضل لتبعده عنها لكن ثقله كاد أن يسقطها على الأرض لو لا أن يداً قويةً رفعته بعيداً عنها ليظهر من خلفه شابٌ ملثم فأخذت تنظر إليه بدهشةٍ ورعب ثم نظرت الرجل الذي أراد إيذائها, فإذا به صريعاً على الأرض وقد أخترقت رصاصه ظهره وسالت الدماء منه على أرضيه تلك الغرفة المهجورة....

رفع الرجل اللثام عنه.... أبعد الشريط اللاصق عن شفتي (سارة)...

_ (جو)! يا إلهي.... لقد عرفت أنك ستنتقذني....

_ هيا بنا.... لا مجال لدينا, إنهم إرهابيون وعلينا الحذر عند خروجنا....

قال ذلك وهو يفك رباط يديها وساقها فاحتضنته بسعادة وهي تبكي

_ سامحني يا جو... لم يكن لدي نَقال خاص لأتصل بك!!

نظر (جو) إليها بعتاب وثم تحولت نظراته الى حنو وحب وهمس....

_ لا عليكِ حبيبتي.... أعلم إنه ليس خطاك, لكن كان عليكِ إلا تتقي بأخيكِ

بعدما فعله معكِ.... أين الحقيبة ياساره!

_ ماذا بها! الكل يبحث عنها.... لقد أخذها مني أحد الرجال في الظلام بعدما

ضربني على رأسي بالسلاح لأنني رفضت تسليم الحقيبة إلا بحضور أخي...

_ هلمّي بنا.... هيا... بسرعة...

إرتدى (جو) اللثام مرةً أخرى وأمسك بساره, ليتقدم نحو الباب ويؤمن طريق

الخروج لهما.... كان عنصران من أصحابه منتشرين في جانبي البنايه,

الشرقي والغربي, وقد رأى (جو) أحدهما فأعطاه الأوامر بأشارات من يديه ثم

أمسك بساره وركض الأثنان خارجين من البنايه, لكن قناصاً من أعلاها رمى

(جو) فأصابه في كتفه الأيمن هذه المرّة, فصرخت (سارة) برعب بينما أختبأ

(جو) واضعاً يده على رأسه ليخفضه, خلف برميل نَفط وُضع خارج البوابه

الرئيسيه لتلك البنايه.... توالى الإطلاقات النارية....

انتظر (جو) لبرهه, ثم نهض ليطلق على القناص, لكنه, لم يُصبه... أخذ يلهث بسبب إصابته.... فجأةً تدرجت كرةٌ صغيرة قرب قدمي (سارة) وجو, فنهض (جو) بسرعه وصاح بساره, هيا معي, إسرعى, إنها قنبلة يدويه... شدّ (جو) ساره من ذراعها وقفز الأثنان بسرعة الى الطابق الأول بينما انفجرت القنبلة خلفهما, ضم (جو) ساره أسفل جسده ليحميها من إية شضيه... كان انفجار القنبلة مع وجود برميل النفط عاملاً مساعداً ليزيد الانفجار قوةً, صحيح أنهما قفزا قبل أن تنفجر, لكنّ حراره عصف القنبلة مضافاً الى الشظايا المتناثره, كلها, (كان جسد (جو) المرتمي فوق (سارة) قد تعرض لها).. غاب الأثنان عن الوعي لدقائق, ولمّا فتحت (سارة) عينيها وجدت (جو) قد حماها بجسده وهو مستقرٌ فوقها, نادته بصوت متقطع متهدج...

_ حبيبي (جو)... هل أنت بخير.... أجبني....

فتح (جو) عينيه لثوانٍ.... رفعت ساره أناملها التي احتضنت ظهره فأذا بها قد أمتلأت دماً فبكت بجنون....

_ لا, لا... جو, لا تمت بسببي, أرجوك, جو, قل أنك بخير....

_ هل أنت بخير حبيبي....

قال (جو) بصعوبه ثم رمى رأسه فوق صدر (سارة) غائباً عن الوعي.... أخذت (سارة) تصرخ, طلباً للنجده, لكن لا أحد يسمعها, بكت بصوتٍ عالٍ وهي تحتضن جو وتقبل شعره بجنون وتردد:-

_ أرجوك, لا تمت يا حبيبي.... أرجوك لا تمت....

بعد وقتٍ لم تعرف قدره, جاء أشخاص رفعوا (جو) عنها وآخرون أخذوها ليكبلوها ويرموا بها في نهاية سياره مصفحه, ذهبت بها الى غرفه منعزله, جاءها شخص واحد يرتدي سترةً وبنطالاً رصاصي اللون, وقميصاً أبيض ليضع أمامها مغلفاً فيه عدّة صور, إستخرجها أمامها وهو يستجوبها بصوتٍ أمر....

_ هل كنتِ تعملين بهذه النشاطات السريه لهذا الشخص.... أنتِ تعرفينه...

أليس كذلك... إنه أخوك البكر....

رفعت (سارة) عينيها الدامعتين نحو الرجل وهزت رأسها إيجاباً ونفياً....
_ إنه أخي, لكنني لا أعرف أياً من نشاطاته.... ولكن ماذا يفعل هنا!
_ نحن من نريدك أن تخبرينا! هل أنت متأمرةٌ معه, ضد الولايات المتحدة
الأميركيه.... هل أنت متعصبَةٌ للأسلام, وتكرهين الديانات الأخرى؟ هل أنتِ
رغم مكوثك في الولايات المتحدة, تعدّين خططاً خفيةً مع أخيك كي تفجروا
مواقع أمنية حساسه في الدوله....

_ لا, لا! أبداً

صرخت (سارة) برعب.... وأخذت تبكي....

_ أين (جو) أخبروني هل هو بخير... أريد أن أعرف أين هو....

أرجوكم أخبروني أين هو (جو)... هل هو حي.. أرجوكم... لكنني زوجته,
ويمكنكم التأكد من أوراقى الرسميه, لقد عقدنا قراننا في المحكمه المدينه...
أرجوكم, أنا لست إرهابيه.... أنا مواطنه أميركيه!

_ وهل المواطنه الأميركيه تتواجد مع أخيها في هذه الأماكن التي حدثت بعدها
أنفجارات متتاليه؟! ثم هل المواطنه الأميركيه تحمل من منزلها قبله في حقيبته
سوداء....

_ أية قبله!! لا أعلم بهذا الأمر!؟!

صاحت (سارة) بغضب, فأخرج الرجل مسجلاً من خلف سترته, أعاد عليها فيه
تسجيل محادثتها مع (سمير)....

_ لكن... لم يذكر في المحادثة وجود قبله!

_ وماذا تسمين هذه!! هه.... رفع الرجل حقيبته سوداء من أسفل الطاولة التي
أجلسوا (سارة) عندها, وقبل أن يفتحها هتف بها....

_ أو ليست هذه حقيبتك المزعومه!

_ نعم! إنها هي....

رددت (سارة) بوجل وخوف, ففتحتها الرجل أمامها, بداخلها

قنبلة موقوته ثم إبطال مفعولها كما شرح لها الرجل وهو ينظر إليها بتركيز
وتشكك, فانهارت (سارة) باكيه....

_ أنا لم أعلم أبداً! أقسم لك, (أنها قنبلة)! لم أعلم, لم أعلم!
تركها الرجل بمفردها, فأجهشت بالبكاء, بعد عدّة دقائق دخلت امرأة ترتدي بزة
رسمية بنفس لون البدلة التي يرتديها الرجل الذي كان يستجوبها قبلها... كانت
امرأة قد تجاوزت الأربعين من عمرها, شقراء الشعر, عسلية العينين, لكنّ
ملامحها كانت تذكرها بشكل كبير ب(جو) بحيث أنها أخذت تتفرس فيها
بدهشه...

_ حسن! ما علاقتك بـ(جو)!

_ إنه زوجي!

رفعت (سارة) رأسها وهي تنظر المرأة بدهشه... أمسكت المرأة بيد (سارة)
وشدتها بقوة نحوها...

_ هل تقولين أن النقيب (جو) هو زوجك أيتها الإرهابية!

_ لستُ بأرهابية, وأرجوكم أن تخبروني أين (جو)? لن أقول شيئاً إن لم

تخبروني أين هو؟! أين هو... هل هو بخير, أرجوكم!

_ لا شأن لك به... نحن من نطرح الأسئلة, لا أنت... ماذا كنتِ تفعلين هنا
مع أخيك الإرهابي....

_ أخي ليس إرهابياً! ماذا تريدون مني... دعني وشأني....

_ كل الدلائل, تشير إلى تورطك معه, ووجود القنبلة دليل دافع....

أنظري الى ملفك عندنا... نحن نراقبك منذ فترة طويلة يا آنسه (سارة)....

ومن تتحدثين عنه الآن, هو الملازم المكلف بملفك هذا... هل تفهمين... كلُّ
ما فعله معك, هو كي نكتشف نشاط أخيك,

وما يفعله معك... وإن لم تصدقي. فهالك هذه الصور في ملفك الشخصي من

مكتب (جو) نفسه... لأنني (أنا).... والدته شخصياً... رفعت (سارة) عينيها

نحو تلك المرأة غير مصدقة ما تسمعه, بينما تناولت الملف لترى صورة (جو)

عليه, في البدايه, وصورها بحجم كبير مع عائلتها وفي شقتها في كل جزء من

ذلك الملف, كانت تنظر وتقرأ التقارير التي كتبت بتوقيع بأسم (جو), غير

مصدقة عينيها....

رفعت رأسها وهي تبكي بألم....

_ أنتِ كاذبه! مستحيل أن يفعل (جو) هذا بي!

إقتربت المرأةُ منها وهمست في إذنها قائله.....

_ وهل تظنين أن ولدي سيتزوج مسلمةً إرهابيه, وهو يهودي صهيوني!

الشمس أقرب إليك منه! إنه ولدي وتربيته يديّ ... كل ما حصل معك منذ حادثة المترو, هو مخطط له.....

رفعت (سارة) رأسها نحو المرآه ونظرت عليها بألم....

_ أنتِ تقولين ذلك لأنك تكهرهيني ... لن إصدقك حتى أرى (جو) ..

أرجوكِ أخبريني, هل هو بخير! أرجوكِ.... أخبريني, بحقّ حبك له... هل هو بخير....

_ خذوها الى الحجز, لا فائدة منها! هيا... بسرعه...

جاء رجلان ليمسكا بذراعي (سارة) ويأخذاها الى غرفةٍ صغيرة ببوابةٍ حديديه ليس فيها سوى شباك صغير بقضبان سوداء....

كان هناك سرير صغير في نهاية الغرفة الصغيره الرمادية القاتمة حيث تكورت (سارة) فوقه وغرقت في بحر دموعها وأحزانها حتى هجم النعاس عليها, وبقيت نائمة حتى الصباح.... كانت هناك فتحة صغيرة في أسفل البوابة الحديدية حيث فُتحتْ وامتدّت يدٌ صغيرة لتضع صحن طعام وتُعيد غلق الفتحة المربعة الشكل.... لم تبال (سارة) لذلك الصحن لان حزنها كان أعظم من أن تفكرّ بطعامٍ ما....

رفعت جسدها المتهالك, وضعت ذراعها أمام وجهها لتشم رائحة قميصها فشعرت بالنقرز, والقرف, فهي لم تغتسل منذ ثلاثة أيام ولم تبدل ثيابها, أخذت الدموع تنهمر من عينيها وهي تستذكر صورة (جو) الصغيرة على أعلى الصفحة الأولى من الملف الذي قدمته تلك المرأة المدّعية أنّها والدته.... شعرت بالخيانة و الغدر وأخذ جسدها يرتعش وارتمت على السرير مرةً اخرى....
_ لماذا خدعتني يا جو! معقولٌ أنّ كل ذلك الحبّ خداع! لماذا؟

بقيت (سارة) ممددةً على السرير حتى المساء..... ورغم أن صحناً آخر وُضع لها في خلف الباب, إلا أنها لم ترفع رأسها نحوه ولم تبالِ بأي طعام.... في المساء, وُضع صحنٌ ثالث, لكنها لم تلتفت إليه... كانت تشعر بالإعياء التام.... تبكي تارةً وتنام تارةً أخرى,

وتفكر في اللاشيء, لأنها كانت في حالة صدمه, مرةً ثالثة, حتى سمعت صوت أقدام خلف البوابة, عندما فُتحت فجأةً ووقف شخص ما أمام سريرها ليشعل ضوءاً جانبياً منخفض الإضاءة في تلك الزنزانة.... كانت (سارة) قد ولت ظهرها للباب وهي مكورةٌ فوق سريرها, ولم تلتفت مع دخول ذلك الشخص, لكن ذلك الصوت المحبب الى قلبها. جعل دموعها تنهمر مدراراً وترفع رأسها هاتفةً.....

_ جو! أهو أنت!؟!

_ ساره الغالية.....

هتف (جو) مرةً أخرى باسمها, فجلست فوق سريرها, أرادت أن تنهض لتحتضنه, لكنها ترددت وتراجعت عن ذلك وسألت بخشوع....

_ قل لي كيف أنت!؟! جو! هل أنت بخير كيف هي جراحك!؟!

_ ساره!؟ ما إن أفقت من وعيي وعرفت أنك في الحجر هنا, تركت المشفى ولتذهب جراحي الى الجحيم سامحيني حبيبتي.....

جتا (جو) أسفل سريرها وهو يمسك بيديها ليقبلهما تساقطت خصلات شعرها فوق شعره الأشقر ودموعها الحرى تسيل مدراراً.....

_ (جو) ... لماذا يا (جو)! هل كنت مجرد لعبة؟ هل من المعقول!!

رفع (جو) رأسه نحوها وشهق وهو يمسك وجهها بأنامله ويقرب وجهه منها ليهمس بصوتٍ حازم....

_ لقد رأيت شريط استجوابك اليوم, وشاهدت كل شيء.... كنت تلهجين بإسمي ولا تهتمين سوى لسلامتي ساره الحبيبه أنا لا أنكر أنني في البداية, شككتُ بأمرك, لأنّ ملفك ذكر وجودك في تجمعات مشبوهه تدعو الى الإسلام وابادة المسيحيه وبقية الأديان ,

لأنها جميعاً محرّفة, واعتبار المسيحيين كفاراً محلاً قتلهم.....

_ أنا! متى ذهبتُ الى هكذا تجمعات! مستحيلٌ أن أفعل هذا؟

_ كنتِ موجودة, سواءاً تعلمين بقصوى التجمعات أم لا تعلمين.....

هل تريدان أن تري صورك هناك...

_ أنا كنتُ أذهب بناءً على طلبٍ من أخي (سمير) أن أوصل له بعض الطرود

لأصدقاء له, أو لأهل زوجته في هذه الأماكن, لا غير؟

_ أترين! هنا مربوط الفرس!! لقد ذهبتِ بقدميكِ وأنتِ ساذجةٌ

لاتعرفين شيئاً من هذه التجمعات وماتدعو له... جاء إسمك من ضمن

المشبهين, لأن أخاك مشبوهٌ به منذ زمن أبعد.... أصبح ملفك من ضمن

أولويات عملي كضابط استخبارات! تبعتك, حتى يوم المحطه! كنتُ أراقبك,

لكنّ أحد أعضاء المنظمة التي على رأسها (أخوك).... لمحني وتعرّف إليّ....

ولذلك لحقني.... وكانت صدفةً حقاً أن أسقط على المقعد أمامك, صدقيني....

_ أو كانت صدفةً حقاً!

هتفت (سارة) وهي تبكي فأمسك جو رأسها براحتي يده وركز نظراته عليها

ليمسح دموعها بأنامله الطويله البيضاء.....

_ اقسم لك.... بكل مقدس.... أنها كانت صدفة.... ولقد أذهلني كرم إخلاقك,

وطيبك, ومعاملتك لي... ولذلك أبعدت عنكِ طيلة تلك السنوات يا حبيبتي, لأنك

لاتعلمين, كم عملتُ جاهداً أن أخلي ساحتك, وأنظف ملفك من أي تهمة أو

عملية إرهابيه مشبوهه! (سارة) أنتِ لا تعلمين ماتلك الطرود التي كان أخوك

يرسلها بين يديكِ... أنتِ ساذجةٌ جداً وطيبة القلب للغاية, ولذلك أحببتك

ياغاليتي.... أنتِ غاليةٌ جداً عندي....

لن أدعك تباتين هنا ليلةً أخرى, لقد حدثتهم بالأمر, ولسوف آخذك الى شقتي

لتغتسلي وتبدلي ثيابك وترتاحي.... لكن...لكن... أنا وعدتهم أنك سوف

تتعاونين معنا مقابل خروجك....

_ ماذا تعني!....

نظرت ساره بذعر الى عيني (جو) الصادقتين... كان يتحدث بكل حنان وحب معها, أمسك بيديها مرةً أخرى وقبلها وهو يقول لها بصوت متهدج....
_ حبيبتي ... عليك أن تدركي شيئاً... أن أخاك على رأس عمليات إرهابيه كثيره.... تفجير نادٍ ليلي.... تفجير قرب سفاره أجنبية....

أنت لا تفهمين ما يجري.... موقفك ضعيف جداً وقد ذهبت بتقديمك الى ذلك المكان حاملةً قبلةً موقوته, وأنا الآن لا أستطيع الدفاع عنك, حتى أمام والدتي, وليس أمام قيادتي العليا!

تحولت نبرات (جو) الحانيه عند جملته الأخيره الى نبراتٍ حازمة, نظرت (سارة) إليه بعتاب وذرقت الدموع مرةً أخرى....

_ لقد قالت لي والدتك, إنني مجرد ملف عندك, كانت محقةً إذاً....
فأنا الآن أسبب الإحراج لعملك.... لكن, أخبرني! هل زواجك مني هو من ضمن خطتك للإيقاع بأخي عن طريقي....

إتسعت حدقتنا عيني (جو) دهشةً عند سؤال (سارة) ذاك بينما ارتعشت يداها وهما بين يديه وأخذ جسدها يرتجف تأثراً وحرناً....

_ كيف لك أن تسألني هذا السؤال! (سارة) هل تشكين بحبي لك؟ هل تشكين إني , بعد تلك الليلة التي قضيناها معاً, قد كذبتُ عليك..... أنا أتمتُ لك, في البداية كنت مجرد ملفٍ في قضيةٍ عندي, لكنني ولما تعرفتُ عليكِ.... أحببتك بكل كياني.....

_ لم أعد أعرف الصواب من الخطأ والصدق من الكذب.... دعني وأذهب يا جو, كي لا أؤثر على مركزك.... فأنا كما قالت والدتك, مجرد عربية مسلمة, أمّا أنت.... فلك مكانتك ومركزك.... أنت ملازم استخبارات أميركي إسرائيلي الأصل.... أين أنا منك وأين انت مني....

قالت (سارة) وصوتها يتهدج بألم شديد

_ ألم يجمعنا سقف واحد وسرير واحد وحبٌ لا يبالي بمن نكون أو من نكون أو من أين جننا يا (سارة) الغالية!

همس (جو) وهو يرفع ذقن (سارة) بأنامله.... شعرت (سارة) بإعياء شديد ولم تعد تعرف ماذا تفعل وقد شعرت بالأنهك الجسدي والروحي والفكري, تمتمت بصوت خفيض....

_ لم أعد أعرف ما أفعل يا جو أنا مستسلمة لأوامرك.... إفعل ماتراه مناسباً لي أنا متعبه جداً.... أرجوك.... ساعدني....
_ حبيبتي .. تعالي معي.... أنا سأرعاك.....

ضمها بين ذراعيها ورفعها نحوه ليخرج بها من الزنزانة, بينما لاحت منه التفاتة لأطباق طعامها التي لم تمسها شفتها أبداً....

بعد أن أغتسلت وأبدلت ثيابها, استلقت (سارة) فوق سرير (جو) في شقتها حيث أخذها.... في تلك الأثناء, دلف (جو) الى الغرفة حاملاً الطعام لها وهو يهتف....
_ لقد أعددتة بنفسي ... طبقٌ خاص يجب أن تتذوقيه وتخبريني ما رأيك بطبخي .. لقد وعدتك إني سأطبخ لك آخر مره.... هل تذكرين قبل أعوام عديده, في هذه الشقه بالذات....

إبتسمت (سارة) دون إرادتها وهي تستذكر تلك الليلة التي هربا فيها من أولئك القتلّة وجاءا الى شقة جو حيث عالجت جُرْحَهُ في الحمام, وجلبت له ثيابه....
نظر (جو) الى (سارة) بحنان وهو يرفع ملعقة الطعام نحو فمها بينما كانت هي مستلقية فوق الوسائد خلف ظهرها ليقول لها....
_ من هي طفلي المدلّله التي تسمع الكلام, هه... تناولني الآن مني وأخبريني رأيك.....

_ جو! كلا!

_ أبعدت بيدها الملعقة فنظر (جو) إليها معاتباً....

_ حسن! لن أكل من طبخك إن لم تتناولني مني شيئاً....

نظرت (سارة) بدهشة الى (جو) لثوانٍ قبل أن تجلس بشكل صحيح وتمدّ رأسها نحو ملعقة الطعام وتتناول منها....

_ هه! أخبريني ما رأيك؟

_ ماهذا الطبق! إنه لذيذ فعلاً! إعطني إياه أنا جائعه.....

_ ألم أقل لك إني طبأخ ماهر..... تفضلي..... خذيه..... يوجد المزيد..... أنتِ لم تأكلي منذ يومين يا عزيزتي.....

_ وكيف هي جراحك أنت؟.... قل لي.....

قالت (سارة) وهي تمضغ الطعام بنهم لشدة جوعها, فنظر (جو) إليها بسعاده وقال لها باسمأ.....

_ توجد طبيبة هنا ستعاين جراحي بعد انتهائها من الطعام!

توقفت (سارة) عن الأكل ونظرت (جو) نظرة خاصة بينما ابتلعت لقمتهما الأخيره..... بادلها (جو) نظراتها بنظرات حبّ أسره....

_ هل تشكين بحبي لك يا ساره!

همس بصوتٍ دافيء..... رفعت (سارة) ملعقة الطعام نحو شفيتها لتتدارك ارتباكها وهربت بنظراتها منه..... وهتفت بعد لأي.....

_ (جو)! ضع نفسك مكاني أنا لا أعرف ماذا أفعل.....

أمسك جو بيدها التي تحمل الملعقة وضمها بين يديه.....

_ هل تثقين بي يا (سارة) فقط أسألك ذلك, وأريدك أن تفكري جيداً قبل

إجابتك..... هل تثقين بي هل تعتقدين أنّ دفاعي عنك تلك الليلة في شقتك

ولما جنّت لأنقاذك في تلك البنايه, ولمّا جنّت لرؤيتك أمام الحرم الجامعي, كلها, مجرد تغطيه كي أضعك من ضمن مخططي للنيل من أخيك... أم أنك تثقين بأنّ

مافعلته كان لأجلك فقط, ولأجل عينيك الجميلتين.....

_ جو!

هتفت (سارة) بألم وتركت الصحن فوق المنضدة لتتنظر إلى عيني (جو) عدة

دقائق بينما كان هو ينظر إليها بكل صدق وحب وحنفوان..... وكان لا يزال

محيطاً يدها بيديه, عندما رفعت ذراعها وضمته الى صدرها وهي تهتف...

_ أنا أصدق قلبي يا جو..... وهو يخبرني أنك لا تكذب.....

وأنه من المستحيل أن يكون كل ماجرى بيننا كذباً... لا, لا أصدق فهناك

الف طريقة للإيقاع بأخي ولا أصدق أنك تستخدم كل مافعلته معي, وكلّ

ماتعاهدنا عليه, وذهابك بي الى المحكمة المدنية لأكون زوجتك.... كل ذلك,

لتوقع بأخي! لا, لا أصدق....(جو).... لا أصدق....

قبلها (جو) من عنقها عدّة قبلات وهو يهمس لها...

_ كنتُ أعلم أنّ حبنا أكبر من كل هذه التفاهات.... وأنك لن تصدقي ماقالته أُمي

لك.... أُمي غير مصدقةٍ أنني قد تزوجتُ مسلمه عربيه وهي التي كانت تخطط

لي الزواج من بيوتات العوائل العريقة اليهوديه, وتجلب لي صور فتيات بين

الفينه والأخرى أو تحاول أن تعرفني بهنّ في أية مناسبة!!

عليك أن تعذريها!! فأنا لم أخبرها شيئاً والأمر كان صدمةً بالنسبه لها خصوصاً

مع موقفها الحساس لأننا في نفس موقع العمل وأنتِ من المشتبه بهم!

_ أعلم ذلك يا حبيبي... انا لم أصدقها.... حقاً لم أصدقها!

قالت (سارة) وهي تلثم أصابع (جو) بشفتيها بحبٍ واشتياق.... نظر (جو) إليها

ملياً قبل أن يقول لها وشفتهاه فوق أذنها....

_ إذاً.... دعينا نحتفل بحبنا الذي لم ير النور سوى لليلةٍ واحدة... ودعي كل

شيء يذهب الى الجحيم....

_ عليك أن ترتدي هذه يا حبيبتى....

همس (جو) في أذن (سارة) اليسرى وهو ينظر إليها عبر المرآة المعلقة أمامها

في الحمام, في صباح اليوم التالي, عندما نهضت (سارة) من سريرها لتأخذ

حماماً سريعاً.... وضع جهاز التنصت فوق حمّاله صدرها وبنّته بشكل صحيح

, وعند ذاك رفعت (سارة) نظراتها إليه وهي تنظره عبر المرآة واقفاً خلفها

وذراعه تحيط خصرها....

_ هل سأخون أخي, وأكون مجرد واشيةٍ جبانةٍ... ..

_ ساره, حبيبتى... دورك الآن أن تكسبي ثقة (سمير) وأن تتكّلي بي وبكل

جهاز الاستخبارات.... لقد علم عناصره وجواسيسه بإحتجازنا إياك.... يجب

أن تكوني ذكيةً وتلعبي الدور بأنقان كي يفتح (سمير) لك قلبه ويخبرك عن

نشاطات مشتركة....

(سارة) اسمعيني جيداً....

قال (جو) بحزم وهو يلفّ جذع ساره نحوه لتصبح قبالته...

أحاط خالصتها بذراعيه هذه المره وهو يقول بصوت حنون
_ حبيبتى..... أنتِ لستِ بواشيه, ولا بجاسوسه.... أنتِ تنقذين حيوات أناس
كثير, وأنتِ لاتعلمين!

_ وأسحب أخي الى كرسي الأعدام, أليس كذلك؟
هتفت ساره وهي تذرف دموعين.... نظر (جو) إليها بألم وقال....
_ لقد رأيتِ بأَم عينيك تلك القنبلة التي حملها إياك...
ما رأيك لو أنفجرت وكانت هنالك فتاة صغيره تمضي مع أمها؟ هه! أو رجل
مسنٌ يسير في دربه, أو عائلة تقضي عطلتها سويةً دون أن تعلم أنها سوف
تقطع أشلاءاً!

_ كفى, كفى (جو)!

هتفت (سارة) بينما رفع (جو) يده ليعبث بخصلات شعرها ...
_ حبيبة قلبي الغاليه... لربما نكون مخطئين, ولربما تكتشفين براءة أخيك من
كل ذلك.... بتسجيلاتك الصوتيه عبر جهاز التنصت, سنعرف المجرم من
البرئ... أو لست محقاً؟
فرحت (سارة) بكلمات (جو) الأخيره وأستبشرت خيراً فأحاطت رَقِيَة جو
بذراعيها وقالت بسعاده....

_ نعم! سأثبت لك براءته وأنه لايمتّ بصله لأي إرهابي!

_ سنرى ذلك سويةً حبيبتى....

قال (جو) بعينين كلها تشكك, فعتبت (سارة) عليه بنظراتها وقالت له بدلال وهو
يحيطها بذراعيه....

_ ألم تكن تشك بي في البدايه عندما ورد إسمي في ملفك, ولم يكن لي أيّ يد في
أي عمليه إرهابيه؟! ألسنٌ كذلك!

نظر (جو) إليها نظرةً خاصه ثم أجاب بعد برهه....

_ ليس كل شخص هو كحبيبتى (سارة)... وعلى كل حال... ما سوف تفعلينه,
سيثبت وجهه نظرك إن كانت صحيحه, أو إن كانت وجهه نظري صحيحه,

فأنتِ ستنتقدين مئات من البشر... ففي كلتا الحالتين, أنتِ لستِ بخاسره يا
(سارتي)!!

قال ذلك وهو يضمّها الى صدره ويطبع قبلةً فوق جبينها ثم أردف:
_ هيا أسرعى بارتداء ثيابك, لنذهب الى الجامعه, ويجب أن لا تتقاعسى عن
الدراسة, ففي هذه الفتره, الأمتحانات على الأبواب
_ ذلك صحيح!

هتفت (سارة) وهي تنظر ألى (جو) بسعاده, لأنّه يهتمّ لدروسها.....
_ حسنٌ!.... سوف أقرأ كل المحاضرات التي فاتتني بعد عودتي من إجازتي
عند أهلي.... سأخذ اليوم كل مافاتني من (جوان)...
_ أحسنت.... هذه هي فتاتي المثابره...

ذهب جو بعد ذلك لأحتساء كوب من القهوة بسرعه, عندما خرجت (سارة) بعد
مدّه قصيره لتعلن أنّها قد أنتهت وأستعدت للخروج معه,,,,, إنطلق الأثنان خارج
الشقه عندما تفاجأت (سارة) بوجود شخص أمامها وهو يحمل مسدساً يصوبه به
نحوها
شهقت بذعر.....

_ (سمير)! أخي! أهو أنت!

_ أهكذا رباك والداي تبيتين في شقة غريب.... وأيضاً بلا زواج ولا
خجل ولا حياء.... أنا بريءٌ منك يامن كنتِ أختاً لي.... لقد جنّتُ أبحثُ عنك
بعدهما أخبروني أنّك محتجزهٌ من قبل عناصر الشرطه أو الأمن أو مهما كانوا...
لكن.. لكن.... أن أسأل صديقتك فلا تعرف عنوانك, وأتتبع مكالماتك فأعرف
أين تسكنين, ومع من.... مع يهودي نجس....!!?

_ توقف! لا تتهور!

صاح (جو) بحزم وهو يقف خلف (سارة) التي تجمدت في مكانها...

_ كلا!!! أنت لست بأختي التي وثقتُ بها وجعلت شرف العائلة في عنقها وأنا أرسلها بنقودي الى الجامعه, كي أرى فيها مالم أراه في نفسي... أو هكذا تجازيني... يا أختاه!؟!

_ أنا! وأنت ماذا فعلت؟ هه, أرسلت إليّ رجالاً لا أعرفهم وكان من الممكن أن يفعلو بي أموراً لا أستطيع ذكرها, لأنك تثق بهم, فأنيّ أخ أنت... أيّ أخ يرسل قنابل مع أخته, وتعرض شرف أخته وحياتها للخطر... كيف استطعت!! كان (سمير) لا يزال ممسكاً بالمسدس بين يديه موجهاً إياه نحو (سارة) وهو يرتجف ويتصبب عرقاً, عندما استغل (جو) فرصة حديثه مع أخته ليمدّ يده نحو بنطاله حيث جراب مسدسه, فصرخ (سمير).....

_ قف, وإلا فلسوف أرميك بالرصاص يا من أخذت شرف أختي وعائلي ودنسته.....

_ سمير! توقف! إنه زوجي! زوجي! ألا تفهم....

_ ماذا!! مستحيل! ليس زوجك.... كيف تزوجته.....

_ بالشرع وبالقانون, ولديّ أوراق ثبوتيه في شفتي.... لو هدأت, فلسوف أريك إياها.....

_ أنت تتلاعبين بي..... ولكن, عن أيّ قنبلة تتكلمين!

لقد أرسلتُ هديةً الى صديقي مثلما أخبرتك, إنه شريكي الجديد في شركة الأستيراد والتصدير....

قال (سمير) بنبرة صادقة, فصاحت (سارة) بألم....

_ إنّ ذلك الطرد كان قنبلة ولذلك حدّرتك لقد حدّرتك مراراً يا أخي لكنك لم تصغ إليّ... فأما أن تكون مشتركاً معهم وإما أن يكون مغرراً بك, من حيث لا تدري.....

لقد عذبوني وربطوني الى كرسي ليوم وليله لو لا مجئ (جو) وإنقاذه لي... لقد كان صديقك الملتحي ذاك أن يعبث معي يا (سمير) لولا أن ارسل الله (جو) لينقذني.... أنا لن أصدقك بعد الآن.... هيا بنا يا جو..... أنا لا أخشاك يا سمير.....

_ قفي... لا تتحركي! لقد حذرتك يا (سارة)!! قفي!؟

لم تبال ساره بما قاله (سمير) فتركت (جو) واتجهت نحو المصعد لكنّ طلقةً اخترقت صدرها جعلتها تسقط أمام المصعد قبل أن تكمل ضغط زرّه بأصبعها, التفتت نحو (سمير) لتجده يسدد لها طلقة مسدس أخرى أصابت فخذاها, فأخذت تصرخ ألماً,

وعندها سقطت على الأرض بينما صوت (جو) يتردد لاهجاً بأسمها ثم صوت إطلاق ناري لم تعرف (سارة) من كان ضحيته, لأنها دخلت في غيبوبه لشدة نزيفها من أعلى صدرها وفخذاها....

كان آخر (صوت) سمعته هو صوت (جو) يلهج بإسمها,.... وكذلك كان اول صوتٍ عندما فتحت عينيها لتجد نفسها في المشفى في غرفةٍ مفردة وبجوارها (جو) الذي كان يحيط يدها بيديه....

_ حبيبتي..... رحماك يارب..... حمداً لله أنك قد فتحتِ عينيكَ حبيبتي!

هتف بسعاده وهو يذرف الدموع لأجلها.... تمتمت (سارة)....

_ أو تبكي لأجلي يا (جو)!

_ حبيبتي.... لا أصدق أنك قد فتحتِ عينيكَ.... لقد مرّ أسبوع على فقدانك للوعي.... كان أصعب أسبوع في حياتي.... صليت لأجلك كثيراً يا حبيبتي ودعوت الله لأجلك.... الحمد لله.... أنا لا أصدق.... قال ذلك وهو يرفع يدها نحو وجهه ويشبعها قبلاً ويمرغها بوجهه....

_ حبيبي (جو).... أنا.... منذ أسبوع! حقاً! ماذا جرى؟

لا... لا.... سمير! سمير, ماذا جرى له! سمير أخي!! هتفت (سارة) بألم فوضع جو إصبعه فوق شفثيها ليقول.....

_صه! إهدئي حبيبتي.... سمير بخير.... لقد أطلقت النار على ذراعه فحسب
لأنه كان مصمماً على قتلك... لاتخافي... هو بخير ويتعالج من ذراعه فحسب
وليس هنالك أدله تجعلنا نحتجزه بتهمة الإرهاب.... كنتُ أود أن أحتجزه
ليعترف.... لكن ليس بيدي حيله... لقد اعتبرت الشرطه مافعله معك مسأله
عائليه وقضية شرف وأطلقو سراحه بكفاله دفعها والدك....

_إذا فقد علم والداي بالأمر....

قالت (سارة) وهي تشيح بوجهها بعيداً عن (جو) لتذرف الدموع....

_ ساره! مابك.... أنت لم تفعلي شيئاً خاطئاً...

_ أنا الآن قد أصبحت بلا أهلٍ يا (جو).... تبرأ مني أهلي ...

أنت لا تفهم مامعنى أن يرى الأخ أخته في شقة شخص غريب, وأيضاً من غير
دين وغير مله أو قوميه.... أنت لاتفهم... إنهم لا يصدقون أني قد تزوجتك
شرعاً ولايعترفون بزواجنا المدني....

أنا أعرف أهلي.... لم يعد لي أهل.... أصبحت مجرد عاليه....

_ (سارة)! صه! ماهذا الكلام.... وأين أكون أنا....هه؟

قال (جو) بنظرات معاتبه, فبادلته (سارة) بنظرات متألّمه....

تابع (جو) كلامه وهو يمسك بيدها بإحدى يديه ليضع الأخرى فوق معدتها...

_ وهذا, ماذا تسميه.... ألم تعد لك عائلة جديدة بزواجك مني....

_ ماذا تعني!

هتفت (سارة) بدهشه, فرقّت نظرات (جو) وأقترب نحوها هامساً....

_ كان ذلك الأسبوع كابوساً مميتاً بالنسبة لي.... لقد أخبرني الطبيب أنك حامل... أنتِ حامل دون أن تعرفي, أليس كذلك؟

_ ياإلهي! أنا.... كيف, فحص الدم, أليس كذلك؟

أغمضت عينيها لدقيقه وذرقت دمعين.... ضغط جو على أصابعها بأصابعه بينما وضع يده الأخرى فوق خصلات شعرها بحبٍ وحنان....

_ غاليتي.... لاتعرفين كم خشيت أن أخسركما! كانت حالتك خطرة للغاية, فلولا لطف الله, ولو أن تصويب أخيك كان أدق بمسافه سنتمترين فقط, لأخرق قلبك! إلهي.... كم كانت حالتك خطره, خصوصاً وأنتِ حامل للتو في شهرك الأول....

_ صحيح! أنا... لقد فاتتني دورتي الشهرية ولم أهتمّ بسبب الأحداث التي مررتُ بها.... ياإلهي! سبحان الله.... سأكون أمّاً....

_ سأكون أباً بفضلك غاليتي....

نظرت (سارة) الى (جو) بسعاده, فبادلها نظرات الحب والسعاده وهتف بها بصوت حان....

_ لاداعي للخوف بعد الآن.... ستنتقلين الى شقتي ولاداعي لأن تخافي من قسط شقتك أو أن يصرف أهلك عليك.... أنتِ الآن معي فقط و فقط معي وليذهب الكون الى الجحيم.... لم أعد أبالي بشيء بعد الرعب الذي عشته, بخوفي من فقدانك أيتها الغالية.... فليحفظك الله لي وليحفظ طفلي في أحشائك, يا حبيبتي الغالية.... أيتها العزيزة...

بعد مرور عامين....

كانت (سارة) تحمل طفلها الصغير (ديفيد) بين ذراعيها وهي تحتفل بعيد ميلادها الأول في منزل جدته مع (جو) و(إيزاك) عمّه الأصغر.... وقد صممت الأم على الإحتفال بولادته على طريقتها اليهودية, فلم تبدِ (سارة) أية

معارضة لها بل كانت مسالمةً للغاية معها, حتى وهي تخبرها أنها سوف تجعله (يهودياً) فيبتسم (جو) لها ويغمزها كي لا تخيب والدته بشيء وكانت (سارة) تترك للوالدة حريه الكلام والتصرف كما تشاء... لقد تغيرت معاملته الأم لساره بعد الحادث الأخير الذي تعرضت له الأخيره, وخصوصاً عندما علمت بـ(حمل) ساره....

صَقَّ الجميع فرحاً ونفخت (سارة) الشموع مع (جو) وحاولت (سارة) أن تجعل (ديفيد) ينفخ قليلاً يشفتيه فما كان منه إلا أن صفق وأخرج زبداً من فمه فضحك الجميع عليه.... كان (ديفيد) أشقر الشعر كوالده, فيروزي العينين, وذلك ما جعل جدته تهيم عشقاً به, وهي تردّد كلما حملته,

_ إنه (جو) الصغير... حبيبي... إنه نسخة منك....

عندما اختلت (سارة) في أحد المرات بـ(جو), سألته عن مصير (ديفيد) بين عائلتيهما وهي ترضعه من صدرها.... إذ هتفت...

_ (جو)! هل سيكون ديفيد يهودياً أم مسلماً.....

رفع (جو) عينيه من فوق هاتفه النقال وهو يحتسي القهوة ونظرها بعينيه اللتين تحملان لون السماء النقية....

_ حبيبتني.... سيكون كليهما!!

شهقت (سارة) دهشةً وضحكت وهي تقول....

_ كيف!

_ سَدَّعُهُ يذهب مع جدته عند تعبُّدها وليفعل مايفعله كلُّ يهودي متدين, أنتِ تعلمين إنِّي لستُ متديناً أصلاً.... أمّا إن جاء هنا معنا, فيمكنك تعليمه صلاه المسلمين وما تريدين, فأنا لن أعارض كما تعلمين, لأنني أصلاً أعلنت إيماني بدينكم وليس عندي أي أشكالٍ بهذا الأمر.....

قالت ذلك وهي تضحك, وأمسك جو ذراعها واستلقى قريبا ليضع رأسه في حجرها وخصلات شعره الشقراء تتناثر فوقه....

_ أحبك يا غاليتي.... مستحيل أن أؤذيك بمقدار شعره واحده.....

نظرت (سارة) الى عيني (جو) اللازورديتين بحبٍ شديدٍ وهي تقول وأناملها تلمس وجنتيه بينما يدها الأخرى تعبت بشعره....

_ أحبك يا (جو).... أنا أحبك....

رددت ذلك قبل أن يدوي صوت انفجار مهول, ارتجت له أرجاء الشقه, فقفز (جو) مستعداً, وأخذ يتصل بسرعة عبر الهاتف ليستعلم عن الأمر, بينما كانت (سارة) ترتجف ذعراً وهي تبحث عن جهاز التحكم كي ترى مايجري على التلفاز....

_ سأذهب ياساره! هناك انفجار أسفل بناية شقتنا عبر الشارع, في البار المقابل لبنائتنا.... لا تفتحي الباب لأحد واعتني بنفسك....

اخذت (سارة) تقلب في نشرات الأخبار بواسطة جهاز التحكم عندما رنّ جهاز النقل الذي اشتراه (جو) لها قبل مده طويله, فالتفتت إليه غير مباليه وهي تستمع الى آخر أخبار الساعه, حيث نقل أحد المراسلين الصحفيين حدث الانفجار مقابل بناية شقة (جو) وظهرت أشلاء الجثث وطرائق المكان وما حوله من محلات تجاريه, وكانت (سارة) تضع يدها على فمها وهي تصيح دهشةً ((رحماك يارب)) عندما ظلّ الجهاز الخلوي يرنّ تباعاً وكأنه طنين نحل مزعج....

وضعت (سارة) الهاتف على أذنها بعد أن ضغطت زرّاً فيه وتحدثت وهي تقلب القنوات أمامها عبر جهاز التحكم الذي أمسكته بيدها الأخرى....

_ مرحباً, من هناك!؟!

_ لاقيني عند تقاطع الشارعين أسفل بنايتك, بسرعه! أنه أمرٌ مهم للغايه....
سوف تندمين أن لم تأتي.... حياة أخيك ومصيره بين يديك!؟!

_ ماذا! أخي (سمير)! عمّاذًا تتحدث! من أنت!

هتفت (سارة) بذعر وهي ترتجف.... أقفل الخط.... عرّفتُ بالإتصال
بـ(جو).... ضغطت أزراراً واتصلت, لكن (جو) لم يردّ.... عرفتُ أنه مشغول
للاغايه... ترددت لثوانٍ قبل أن تنهض وترتدي ثياب الخروج وتخرج من
شقتها....

كانت سيارات الأسعاف والأطفاء منتشرةً في الشارع الذي سارت (سارة) على
طوله متفاديةً كل الجماهير المزدحمه أمام (البار) حيث حدث التفجير.... أخذت
تغذ الخطى حتى وصلت تقاطع الشارعين , فجأةً ناداها صوتٌ ما أن اتبعيني
.... نظرتُ فإذا برجل يرتدي معطفاً وقبعةً رمادية يسير أمامها ويدها في جيبي
معطفه.... تبعته حتى هبط سلماً نحو محطة مترو أنفاق.... هبطت خلفه....
ركب المحطة فركبت بجواره.... لم يرفع قبعته عن عينيه, إكتفى فقط بوضع
يديه في جيبه ليضع فوق حجر (سارة) شريطاً مدمجاً.....

همس بصوت خفيض....

_ سترين الحقيقه كلها هنا بأمّ عينيك لا أطلب منك بعد هذا إلا الهرب من
الرجل الذي سوف تصابين بالدهشة لما تعرفين حقيقته.... ولذا فقد أعددنا لك
هذا الجواز الكندي. لتسافري الى كندا, إن وافقتِ وتعيشي حياةً مستقلة أنتِ
وطفلك بعيداً عن أي أذى أو صراعٍ ما.... لقد أبلغني أن أوصل تحاياها القلبية
لك.....

وأنه مشتاقٌ لرؤيتك كثيراً.....

قال ذلك ونهض مشدداً على وضع قبعته فوق عينيه وهو يطرق برأسه كي لا
تتعرف عليه (سارة)

_ لكن! ألن تقول لي من أنت, أو من أرسلك....

_ من أنا؟ ذلك ليس شأنك؟ فأنا من طرف من أرسلني قد قمت بهذا العمل خدمةً له, أمّا من أرسلني, فلسوف تعرفين كل شيء عندما تشاهدين هذا القرص.... حظاً سعيداً, وداعاً.... أنت لم تلتقي بي ولم تريني مطلقاً!

بقيت (سارة) مندهشه وهي تنظر الى الرجل يسير مبتعداً وقبل أن يتحرك المترو, نهضت (سارة) لتهبط منه وتعود إدراجها....

وضعت القرص المدمج عندما وصلت شقتها وهي تلهث لأنها ركضت على طول الشارع_ أقول_ وضعت القرص المدمج في الحاسوب و انتظرت لعدة ثوانٍ عندما ظهر فجأة أخوها سمير بصورةٍ واضحة على طول الشاشة, وأخذ يتحدث

_ أختي الغالية.... أنا أعلم أنك قد غرّرت, وقد تلاعب ذلك الشاب بعقلك بحيث ظننت أني إرهابي... لاتغلقي الجهاز ودعيني أكمل, لكن أولاً, عديني أن لا تدعي ذلك الشاب يرى التسجيل أبداً قبل أن تنهيه وحدك وتقتنعي بكل شيء تنهد قليلاً ثم تابع....

_ إنظري أختاه.... أنت تعلمين كم أحبك.... وتعرفين جيداً جداً إنني الآن لا أكذب عليك.... الآن أنظري الى جسدي....

قال ذلك ورفع ذراعيه ليخلع قميصه, إستدار ليعرض ظهره للكاميرا....

صرخت (سارة) بألم... كان جسده مليئاً بآثار وتعذيب شديد, أخذت (سارة) تبكي, خصوصاً وهي تشهق شهقه دعر برويتها شخصاً يعدّب أخاها, وعندما رفع اللثام عن وجهه وقُرّبت الكاميرا إليه.....وجدت أنه.... أنه (جو) نفسه! ... أخذت دموعها تنصبّ مدراراً.... لم تعد تفهم شيئاً ولا تفقه أمراً.... كان تصويراً موثقاً من داخل مكتب أستخبارات وفيه التاريخ والساعة.... كان تسجيلاً قديماً.... قديماً للغاية... يعود الى ما قبل تعرفها على (جو)....

قربت الشاشة بعد توقيف الفيديو وظلت تُمعن النظر في شكل (جو)....
وضلت تُمعن النظر في شكل (جو) علّها ترى تزييفاً أو تلاعباً بالصورة
لكنها لم تجد أيّ شيء.... شغلت الفيديو مرةً أخرى.... ظهر سمير متحدثاً....

_ أنتِ الآن تظنين أنني قد (فبركتُ) الصورة, أليس كذلك.... دعيني أخبرك شيئاً.... أنا لست بأرهابي.... لكنهم صنعوا مني واحداً....

لقد أمسك بي ضابط الاستخبارات هذا, وأنا أسير مع زوجتي في تظاهرة سلمية للتنديد بعدم اعطاء المهجرين حقوقهم المدنية كمواطنين أميركان.... ولقد كنّا نسير دونما ضجه ولا افتعال مشاكل ... صحيحٌ أنني لم أذهب الى إيّ مظاهراتٍ قبل تلك, إلاّ أنّ زوجتي ألحّت عليّ, وذلك لحماسها لتلك الأمور, كون أخيها في لبنان هو أحد الأعضاء في (حزب الله) وكان يشجعها على الثورة ضد الشرك وأيقونة الطغيان العالميّة المتمثلة بأمركا.... في الواقع, لم أفعل شيئاً في البداية, لكنّ, ولما اصطدم عنصران من الشرطة بنا, وتعمداً ضرب زوجتي أمامي وكانت حاملاً بطفلي الثاني وأنتِ لاتعلمين.... كانت حاملاً قبل أن تطرحه بسبب رفسة الشرطي لها, فهجمتُ عليهما دونما وعي مني, فما كان من الشرطيين إلاّ أن أشبعاني ضرباً ورمياناً في السجن, ثم قاموا بتحويل ملفي الى الاستخبارات بسبب نشاط (أخ زوجتي) وجعلوني إرهابياً رغماً عني ولذلك, قررتُ بعد خروجي من سجنٍ بعد عدة اشهر من التعذيب, أن أعطيهم كل ما يريدونه.... وبالفعل, بدأتُ أتصل بعناصر في تنظيمات إسلامية جهادية, ونظّمنا مكاناً لتجمعنا, وأصبح هدفنا واحداً....

لا أقول لكِ إنني بريء.... لا ... أنا فعلاً قد غرّرتُ بك, وأرسلتك, الى أماكن عدّه بحجج واهية كنتِ تصدقينها لسذاجتك وطيبة قلبك.... كنتُ أرسلك لأنك وجهٌ طيب لايشكّ به أحد وليس لكِ أية سوابق... دعيني أكمل يا أختي الغالية.... أتمنى أن تكوني بخير وأن يكون طفلك بأمان.... عزيزتي.... أنا آسفٌ حقاً لأنني لم أحتمل رؤيتك مع ذلك (الوغد).... لقد عرفته, عرفته مباشرةً وظلّ هو ينظر إليّ من طرفٍ خفي.... ذلك الجبان... هو من عدّبنني وقد كنتُ

بريئاً كي يحصل على اعترافات مني بشيء لم أفعله.... وضع الكهرباء في رأسي وجلدني وأقتلع أظفاري... أنت لا تفهمين كم كرهت تلك المؤسسة الإستخباريه, وكم كرهت وجودي في دولة اسمها (أميركا).... كرهت انتمائي لها وكرهت وطني الذي لفظني مع أسرتي بسبب حروب ماكانت لتحدث لو لاطغيان أميركا ووضع الأسرائيليين مخططاتهم معها لشغل فتائل الحرب في أوطاننا العربيه!.... ذلك هو الواقع, شئت أم أبيت... إعترفت بذلك لنفسك أم لا... فنحن جميعنا تحت الهيمنة الأميركيه_ الأسرائيلية... لقد قتلو طفلي في رحم أمه... أصبحت فجأة سجيناً سياسياً, بلا عمل.... بلا نقود, ما أكسبته مع والدي في المطعم لم يكن ليكفي مصروف جيبى فما بالك بمصرف طفلي وزوجتي.... ومصرفك أيضاً لما دخلت الجامعه... كل ذلك, كان بمساعدات الأخوة الذين أنضمت لهم.... نعم... أنا فجرتُ مبانٍ عسكريه, وبارات, ونوادٍ ليليه! أعترف لك.... لا بأس, دعي الفيديو لحبيبيك (جو) ليراه, ويحصل على دليله الدامغ, بأنى أنا (سمير), الرأس المدبر في العمليات الإرهابيه.... لكن, لن يجد شيئاً هنا.... لقد عدنا الى الوطن يا غاليتي.... عاد أهلي جميعاً دون أن تعلمي, لأنك أنقطعتِ عنا.... طوال سنتين, كانت أمي تبكيك كل ليله... شعرتُ بالذنب الشديد, لأنى أعطيتُ ذلك المدعي سبباً كي ينفرد بك, ويأخذك بعيداً عنا, إننا الآن في مكان بعيد.... لن يعثر فيه أحدٌ ما عليّ... والآن, دعيني أخبرك أمراً.... لقد أخذتُ لك بحقك من ذلك الرجل الذي حاول إيذائك بعد أن تأكدت من صدق كلامك, وأنا أكرر اعتذاري لك يا أختي الغاليه... أتمنى أن تكوني بصحةٍ وعافيه عندما تستمعين لهذا الفيديو... أرجوك... أنقذي طفلك من برائن هذا الفاسق الزنديق, ودعيه يعيش معك بنقاء بعيداً عنه.... إن صدقتني فاهربي.... إهربي منه.... حالاً والآن....

وعندما تهربين سنلتقي أنا وإياك, لأنى سأجد ألف طريقةٍ للقيام, أختي الغاليه.... أما وأنتِ مع ذلك (الجبان), فلا, وألف لا..... لن آتي لرؤيتك, لأنهم ألقوا القبض عليّ مرةً وأرادوا أن يلقوا بجرائهم كلها على عاتقي.... هل أخبرك حبيبيك (جو) عن تعذيبه لي وعن معرفته الشخصية بأخيك الأكبر,

وهل (وقرب هنا وجهه من الكاميرا), صدقتِ أنه التقى بك صدفةً وأن كل مامرّ عليك معه, مجرد صدفة.... وأنه أحبك فعلاً... لطالما كنتِ ساذجة يا أختي الحبيبة, تعيشين في عالمك الوردي الخيالي, أنا لستُ نادماً على ما فعلته بأولئك الأوغاد في البارات وحانات الرقص والدعارة! فليذهبوا الى الجحيم.....

كانت ساره تستمع طوال الوقت وهي ترتجف من شدة الصدمة ودموعها لا تتوقف عن الأنهمار أكمل سмир كلامه وهو يشدّ على قبضة يده ويوجه سبابة يده الأخرى نحو الكاميرا.....

_ لقد قتلتُ أناساً كل همهم الفساد.... لقد طهّرتُ الأرض منهم, وشغلت الحكومة الأميركيه هنا كي تتفرغ لرعاية مواطنيها بدلاً من إشعال فتائل الحروب في وطني وبلداننا الإسلاميه.... ثم أنني سأظل أناضل لأجل المستضعفين أمثالنا, وكلّ شخص تعرض للقمع والتنكيل وحجب الهوية من قبل الأميركيان.... والآن.... لو كنتِ تحبّين أخاك, فأهربي.... أم أنك ستظلين مع من حوّل أخاك الى ما هو عليه الآن وتظلين تعيشين معه كذبة الحبّ التي لعبها معك بأتقان.... الحكم والقرار لك.... ساره... وداعاً وفي رعايه الله.... لا إله إلا الله, محمد رسول الله.....

أغلق التسجيل وانتهى الشريط وجفّت الدموع فوق وجنتي (سارة), لكنّ جسدها كان لا يزال يرتعش ويرتجف بقوة

نهضت بسرعه, أخرجت جواز السفر الكندي وفتحته, صورتها موجوده في بدايته, لكنّ اسمها تغير الى (لمى) وكذلك كلّ حقيقةٍ عنها.... أصبحت لها شخصيه مزوره وهميةٍ جديده.... ذهبت بنتاقل نحو سرير صغيرها, نظرت إليه وهو نائم كالملاك فوق الوساده وشعره الأشقر الناعم منسدلٌ على وجنته الغضة الطريه, فكرت فيه لثوانٍ.... ((سوف تكبر هنا لتكون مثله, وتسير على نهجه.... سأظلمك إذا.... كلا... لن أفعل هذا...))

حظرت حقيبته صغيره وضعت فيها كل ماتحتاجه بحركات سريعة ودونما تفكير, حزمت الحقيبته وحملت مبلغاً من المال من درج (جو), وقالت بصوت خفيض....

_ سأعيده له يوماً ما....

تمتت وهي تشعر بوخز الضمير, لكنّ الوقت كان لا يسع للتفكير... سمعت صوت الهاتف يرن.... كانت قد حملت طفلها وحقيبتها, فلم تستطع أن تنظر المتصل, ومضت نحو خارج الشقة دون أن تأخذ الجهاز النقال لأنها تعرف في سرها, أنها لا تستحق بعد مغادرتها الشقة أخذه, ولم تعد ترغبُ بشيءٍ من ذلك الرجل الذي أحبته أكثر من روحها, سوى طفلها فقط!

_ (سارة) حبيبتي, لقد أتصلتُ بك أكثر من مرة.... أين أنتِ... لو تعلمين. كم كنتُ مشغولاً اليوم في هذه الأحداث الجديدة؟

قال (جو) وهو يخلع سترته بعد ما علق معطفه خلف باب الشقة....

_ (سارة), أنتِ في المطبخ!

نادى (جو) وهو يرى مصباح المطبخ مضاءً, فذهب نحوه بعد أن أرخى رباط عنقه وأخذ يتلّفت يميناً ويساراً....

_ ساره! حبيبتي!... أوه, لا بدّ وأنها نامت الآن , يالحمائتي....

ذهب نحو غرفة النوم وأشعل المصباح الكهربائي فوجد السرير فارغاً... دبّ الخوف في قلبه, فالتفت نحو سرير صغيره المتحرك فوجده فارغاً...

_ ساره!

صرخ بغضب وأخذ يتلّفت كالمجنون إنطلق نحو الصاله, وجد جهازها النقال فوق الأريكة....

_ هل أختطفوهما! يارب! ماذا حصل.... لا... لا... ساره, وطفلي! وبينما هو يفكر لثوانٍ بسرعه والذعر قد ارتسم على قسّمات وجهه, إذا به يرى الحاسوب أمام طاوله الأريكه مفتوحاً وهو على وضع الأستعداد, غير مغلق, فارتاب بالأمر وضغط زراً فيه, فظهرت صورة (سمير) أمام عينيه اللازورديتين اللتين اتسعتا بدهشةٍ فائقة وهو يضغط زرّ التشغيل وبدأ يستمع لما يقوله أخ زوجته (سارة)....

كانت (سارة) قد ركبت في تلك الأثناء الطائرة وغادرت (أميركا) مع طفلها لتبدأ حياةً جديدةً في كندا, إذ وجدت في انتظارها شخصاً قادها الى شقة خاصة هبها, مع وضع مبلغ مالي هائل في ظرف كبير في شقتها لتبدأ حياتها الجديده... أخذت تعمل في مستشفى حكومي كطبيبه جرّاحه وهي ترعى طفلها وتقوم بجميع احتياجاته بمفردها.... أما بالنسبه لـ(جو), فلم يعرف عنها شيئاً ولم يستطع إيجادها, لأنها لم تخرج بإسمها ولن تترك ورائها أثراً.... وقد حاول بكلّ ما أوتي من وسائل استخباراتيه إيجادها فلم يستطع....

دفنت (سارة) نفسها في عملها وأصبحت فجأة بلا زواج ولا أهل ولا أهل زوج, مجرد أمّ تقوم بكل واجباتها بمفردها.... وأيضاً في بلدٍ غريبٍ عنها, ودون وجود أيّ من أحبائها قربها!

كم بكت (جو) على وسادتها وهي تحتضن (ديفيد) الصغير وخصوصاً بطنها تكبر يوماً بعد يوم, إذ وجدت نفسها حاملاً وهي لاتعلم قبل سفرها بذلك.... عندما وضعت طفلها الثاني الذكر, أسمته (جو), كي يذكرها بحبها الذي عاشته معه.... أما (جو) نفسه فقد أصبح مدمناً على الكحول وترك وتخلّى عن كل شيء, وأصبح شخصاً نزق الطباع يشتم ويلعن على أقلّ الأسباب, لأنّ غضباً كبيراً, بل بركاناً من الغضب أخذ يستعرُ في جوفه دون أن يُظهرُ ذلك, أو ظنّ أنه لا يُظهر ذلك....

علم الجميع بترك (سارة) له, بسبب أخيها, وأولهم والدته التي كانت توبخه بكلماتها بين الفينه والأخرى بقولها : "ألم أقل لك, أين نحن والمسلمين والعرب خصوصاً, لقد أسأت الاختيار يا ولدي الغالي"....

فلم يكن منه جوابٌ إلا احتساء أكواب أكثر من الشراب كي يهربَ من أمه وتقريعها الدائم له ونظرات الناس إليه, وكأنه متهمٌ بقضيةٍ عظيمةٍ, بل وكأن عيونهم المشفقة عليه تنادي بصوت عال:

_ هذا هو الرجل الذي تركته زوجته وأخذت ولده الأوحده....

لقد بحث (جو) عنها في كل مكان ووطد الحشود وكل مايملك من طرق جاسوسيه واستخباراتيه كي يجدها, لكنّ محاولاته كلها باءت بالفشل... حتى إنّه ظنها قد عادت الى (العراق) عند أهلها فذهب الى بغداد متنكراً كسائح واستعلم عنها,

من بعيد, فعلم أنّ أهلها لايعرفون شيئاً عنها أو عن (سمير) (سمير) الذي كان يلتقي بأخته (سارة) لقاءات خفيةً بين الفينه والأخرى, ليطمئنها عليه, ويطمئنّ عليها.... قال لها....

ذات مره وهي تسأله عن أهلها وعن زوجته وطفليه....

_ لقد كُنْتُ عليّ أن أعيش بعيداً عنهم مثلما كُتِبَ عليكِ,

لكنّ أخبارهم تصلني أول بأول لاتخافي ياعزيزتي الغاليه, فالأوضاع في بلدنا أصبحت آمنةً بشكل أكبر بكثير من السابق, وكلّ ذلك لجهودنا المبذوله هنا لشغل الحكومه بالأرهاب ودفعها عن أذى بلداننا المظلومه.... ألا توافقيني...

قال ذلك وهو يثبت نظراته السوداء فوق عينيه جالساً على مقعد مقابل لأخته في متنزه عام حيث كتب لها في قصاصةٍ صغيره أن تلتقيه, واضعاً قبعةً فوق رأسه ودافعاً ياقه معطفه أعلى وجنتيه كي يتخفى عن الناس قدر الأماكن, وكان

يحدثها من خلف جريدةٍ وضعتها أمام وجهه بينما كانت (سارة) تتشاغل بطفلها الصغير (جو) وديفيد يلعبُ قربها....

رفعت (سارة) عينيها بعد سؤال أخيها لها عن موقفها من (سمير) وآرائه عن الأرهاب الذي أعلن مسؤوليته عنه مسبقاً....

_ أنا ضد التطرف يا أخي ولم أكن معه يوماً.... ولم أتبعك إلاّ لأنني كرهت نفسي, كوني زوجة من عدّب أخي الأعز, وحوّله الى ما هو عليه الآن... لقد كرهتُ لأبني أن يصبح نسخةً ثانيه منه, ولذلك هربتُ به.... لأنني لستُ معك ولستُ معه, رغم أنني لا أزال أحبّه, وأعترف لك بذلك, وأحبك أنت دوماً وأبداً....

رفع (سمير) عند ذلك نظارته عن عينيهِ ونظر إليها بعينيهِ الزرقاوين الغامقتين اللتين أدمعتا, وظلّ لبرهه يرقب طفليها عندما أعاد النظاره فوق عينيهِ ونهض وهو يقول لها بسرعةٍ مبتعداً عنها....

_ سألقاك في وقتٍ لاحق, أعتنِ بنفسك وبطفليكِ....

_ أراك لاحقاً, أخي الحبيب....

تمت (سارة) بصوت خفيض وهي تطبع قبلةً على وجنة (ديفيد) الذي أصبح آنذاك في الخامسة من عمره, بعد غيابٍ ست سنواتٍ عن أبيه وأهل أبيه....

وكان وجهه الجميل يذكرها بـ(جو) دوماً.....

كان مصاباً في ساقه بحيث أسرع المسعفون برفعه بعنايه فوق سرير الإسعاف وذهبوا به الى غرفة العمليات حيث نادوا على جراحه ماهرة, كانت هي (سارة) التي لبست بسرعه كمامتها ورداءها وتركت وجبه غداثها لتهرع الى مريضها الجديد, تسعف ساقه التي تعرضت لحادث سياره مفاجئ على الطريق العام دهستها على حين غفله بينما شقّت معدته وكادت أحشاؤه الداخليه تخرج عن جسده, فأخذت (سارة) تعمل بصمت ودقة, بينما مساعدوها حولها يناولونها

عدّة تلو أخرى تطلبها, وهي تراقب مؤشرات الحيوية على الأجهزة أمامها
ظلت (سارة) تعمل لساعةٍ ونصف في صالة العمليات, عندما خرجت, لتعلن
عن نجاح العملية, وتذهب الى غرفةٍ كانت قد أعدتها دوماً لتصلي فيها شكراً لله
عند نجاح عملياتها الصعبة والنادرة, كانت قد سمعت من مساعدتها أنّ بطنه قد
شُقت بسبب دخول قضيب فولاذي سقط فجأةً من شاحنةٍ كانت على مقربةٍ من
الحادث, حيث اصطدمت بتلك السيارة التي دهسته وأدت به الى ذلك الحال....

سجدت (سارة) فوق مصلاها وهي ترتدي إزار الصلاة وتذكرت (جو)
وارتسمت صورته في خيالها, تلك الصورة التي لم تفارقها يوماً ولا ليلةً ما منذ
تركته قبل أكثر من سنوات خمس

لقد دخل (ديفيد) المدرسه, أمّا (جو) الصغير فقد أصبح في عامه الثالث
ذرفت (سارة) دموعاً دون أن تشعر وهي تتاجي ربها وتدعوه أن يفرج عنها
كربها لأنها دوماً ما كانت تشعر بخواء داخلي, وكأنّ شيئاً عميقاً في أعماق
روحها يصرخ طالباً النجاة, والخروج من سجنٍ رهيب....

جاءها أحد الأطباء الذي كان زميلاً لها في المشفى, وهتف بها مشجعاً....

_ بوركتِ على نجاح هذه العملية مدام (سارة).... هل ستخرجين للقاء
أهل المريض, فهم يودّون شكرك على ما فعلتِ مع ابنتهم... أنهم يصرون على
ذلك....

_ كلا! دكتور! لا أستطيع الآن! أنا متعبه وأريد الارتياح قليلاً في مصلاي
ربما, في وقت لاحق! ومرت عدّة أيام أخذ فيها مريضها الجديد دور نقاهته,
بينما تمرّ (سارة) عليه كل فتره وتطمئنّ على أخباره من بعيد.... لقد شعرت
(سارة) أنه قد أعجب بها عبر نظراته, وكلماته.... كان شاباً وسيماً ذا عيين
خضراوين وشعر بني وبشرة بيضاء.... كان يركز نظراته عليها كلما مرّت
للتأكد من مؤشرات الحيوية وكي تتأكد من دوائه, وتعاين جرحه....

_ أنا جدُّ ممتن لك حضرة الطيبة, وأتمنى لو تمكثين حتى تأتي والدتي ,
فلقد غادرتُ للتو أنها تريد شكرك , وكذلك أخي الأكبر!!

أنه يصر على شكرك بنفسه, لكنه كثير المشاغل وعمله يستوجب عودته
السريعه الى أميركا....

لقد مكثتُ هنا في (مونتريال) لأجلي, لما سمع بما جرى معي من حادثكنتُ
قد جنثُ في رحلة أصطياف مع صديقتي التي توفيت مع كل الأسف....

قال ذلك وأدمعت عيناه حزناً, فتعاطفت (سارة) معه, وقالت بصوتٍ حان وهي
تنظر إليه بعطف....

_ لا بأس عليك.... أنا متأكدة أنها في الجنة الآن.... في رحمه الله... أنا جد
أسفه....

نعم ! أنا على يقين أنها في الجنة.... لقد كانت تحب الرب وتدعوه دوماً...
كانت متدينةً للغاية.... كانت كوالدتي تماماً.... لكن, عليك لقاء والدتي فهي
أيضاً تريد العودة الى أميركا بعد أن أطمأنت علي.... أرجوك حضرة الطيبة,
متى أجذك عندما يحضر أهلي....

_ أنا لا أعلم فمواعيد عملياتي طارئه, وثم, عندي أوقات إستراحه أريد بها أن
أختلي بنفسي وأرتاح....

_ أرى أنك غير مرتبطه حضرة الدكتورة....

هتف الشاب الجريح, الذي عرف جميع من في الجناح, إعجابه بالطيبه (سارة)
كونه كان يرفض أن تلمسه أية ممرضه لتري جرحه , فيصرخ, نادوا لي
طبيبتى.... حتى أخذ الأطباء والممرضون يمازحون (سارة) بقولهم لها,
(معشوقة المريض غرفه رقم (13).... وأخذوا يصنعون نكاتٍ عليها تسمعها
بأذنيها وتمرُّ باسمه الثغر, غير مبالية.... صحيح أنها كانت تشعر بإرضاءٍ

(لإنوثتها) التي وأدتها بيديها, لمّا تركت (جو), طواعيةً, لكنها في قرارة نفسها, كانت تبعد التفكير بأي رجلٍ في الدنيا خلا (جو) الذي لم تعشق سواه....

مرت الأيام وتجاوزت الأسبوع الخامس عندما قررت (سارة) لمريضها الخروج بسلامٍ في المشفى.... كانت قد خرجت للتو من غرفته بعد معاينتها جراحه وأطمئنانها أنه قد أصبح بألف خير, قادراً على ممارسة حياته الطبيعیه عند مغادرته المشفى مع رعايةٍ بسيطةٍ من أهله له, ومن نفسه ذاتها, بعدم تعريضها لرياضياتٍ مجهده.... وضعت (سارة) يديها في جيبها إزارها الطبي الأبيض الذي كانت ترتديه وسارت سعيدةً بخير خروج مريضها الذي ستتخلص (مع خروجه) من كل الشائعات التي أخذت تسري حولها, كونها على علاقةٍ غراميةٍ معه, أو أنها معجبةٌ به, أو, أو.... كلام كثير, لم تبالٍ به, لكنه كان مزعجاً....

سارت (سارة) بتؤدة وهي تشعر بسلامٍ روي غريب فجأةً يملأ صدرها وذهنها, عندما شعرت بمرور شخصٍ ما قربها, قد دأفَ الى غرفة مريضها (الولهان) بحبّها دون إعلانٍ منه لذلك.... فجأةً رنّ هاتفها النقال, وكانت المربيةُ الخاصةُ بـ(جو) الصغير على الطرف الآخر من السماعه.... أخبرتها أنها على موعد هام, ولاستطيع الاعتناء بـ(جو) ذلك النهار, فأخبرتها (سارة) أن تجلبه لها بسرعه الى المشفى, وألغت عملياتها القادمة كلها... ناداها مريضها من غرفته وكانت تسير قربها, أن تأتي لتراه, فشعرت بضيقٍ بادئٍ ذي بدء. لكنها قررت أن تذهب إليه للمرة الأخيرة كونه سوف يرحل عنها إلى الأبد ويتركها بسلام.... دلفت الغرفة على استعجال, وقالت بنبرة متعجلةٍ وهي تحت مريضها على الأسراع

_ ماذا هنالك يا بنيامين! تكلم بسرعة, لا وقت لديّ فطفلي اليوم لن ترعاه المربية, ولسوف تجلبه إليّ....

_ أه! لم أعلم أنّ لديك طفلاً.... لكن أين والده! أنا قد علمتُ من الممرضات, (وغمز ضاحكاً), فأنت غير مرتبطة....

_ رغم صراحتك التي أجدُ فيها نوعاً من الوقاحة والتدخل في شؤوني الشخصية, لكنني, نعم, قد انفصلتُ عن زوجي....

_ أه! أنا أعتذر عزيزتي الطبيبه, سامحي جراتي... أرجوك,

أردتُ فقد قبل أن أخرج على كرسيي المدولب هذا برفقه أخي الأكبر, أن أشكرك... وهو أيضاً يصرّ على ذلك, أين ذهب أخي, كان هنا قبل قليل أرجوك.... أه, هاهو, كان خارج الغرفة....

ظهر أخوه خلف (سارة) التي وقفت بينهما أمام الكرسي المدولب حيث جلس (بينيامين) وخلفها أخوه الذي دلف الغرفة فجأةً, ووجد الطبيبه عند أخيه, فهتف بحماس....

_ وأخيراً ألتقيتُ بكِ حضرة الطبيبه.... لقد أردتُ شكرك...خفق قلب (سارة) وأدمعتُ عيناها فجأةً وهي تستمع لذلك الصوت (المحبب) إلى قلبها, التفتت غير مصدقة, فأذا بها وجهاً لوجه, أمام (جو).... نفسه.... (جو) الذي صعق بمراها وتسمّر في مكانه وكأنه شاهد ميتاً, فهتف (بينيامين) بحماس بأخيه....
_ ماذا! ألن تشكرها....

_ عن إذنك بينيامين! لدي عمل! أنا على عجلة....

_ ألى أين!؟

هتف (جو) وهو يشدّها من ذراعها ليلصقها بكتفه ويقرب وجهه منها

_ كيف فعلتِ هذا بي!! كيف تركتيني....

_ دعني أذهب... لن أتحدّث إليك....

_ ساره!! أنتِ لا تزالين زوجتي رغمًا عنك.... هل تفهمين!!

صرخ (جو) بها وهو يمسكها بذراعيه ويهزها بعنف بينما ظل بينيامين مذهولاً
فاغراً فاه....

_ دعني أذهب (جو)...

_ مع من كنت تعيشين طيلة تلك الأعوام, هه! تركتني ورحتي, وأكيد, إنك
تزوجت وكونت أسرة جديدة....

من هو (جو)? فليذهب الى الجحيم!!..... أيتها الخائنة!

_ هل تتحدث عن الخيانة الآن..... هل أقول لك من الخائن.....

صاحت (سارة) بألم, عندما صاحت ممرضه بها أن أبناها قد وصل وجلبته أليها
وهو يهتف.....

_ أماه! أنا هنا... أنا هنا...(صوت ديفيد)

_ من هذا! من يكون...

صاح (جو) بينما ظهر (ديفيد) خلف أخيه الصغير وهو ينادي عليه.... ((أخي!
جو! تعال هنا!))

ونظر الى والدته وصاح بسرعة....

_ أماه! من هو هذا! من هذا الرجل الذي يشدك من ذراعك...

_ هل أنت بخير!

هتفت الممرضه وهي تنظر ألى (جو) بتوجس وأردفت....

_ هل أنادي الأمن الآن... قل لي فقط....

نظرت (سارة) نحو الممرضه للحظتين وأردفت بينما (جو) لا يزال يشدها من
ذراعها بقوة....

_ كلا! لا داعي لذلك.... مسأله عائليه....

_ ماما! أية مسألةٍ عائليه! من هذا الرجل!

ذرفت (سارة) الدموع بينما ابتعدت الممرضه بعد كلامها....

_ حبيبي (جو).... إسمعني جيداً يا (ديفيد)....

قالت ذلك وهي تشد ذراعها بعيداً عن (جو) الأب, وتحتضن طفليها وهي تجثو
قربهما على ركبتهٍ واحده.....

_ إنه والدكما..... وذلك الرجل عمكما....

_ أبي!

هتف (ديفيد) وهو يرفع رأسه نحو (جو) الذي قفزت الدموع من عينيه مدراراً
وهو يجيل الطرف بين طفله (ديفيد) و(جو) الصغير وهما أسفل منه بعدما
تركتهما والدتهما لينحني عليهما ويضمهما إلى صدره ويشبعهما قُبلاً....

_ ديفيد! صغيري ... إشتقت إليك!! إشتقت إليك كثيراً, أنظر من كبرت حبيبي
الغالي.... كم كبرت!؟.... لكن.... من هو (جو) الصغير هذا.... أين والده!؟

صاح باستنكار فنظرت (سارة) إليه بعتاب وألم في آن معاً....

_ إنه أنت, ومن عساه أن يكون؟

_ كيف! ومتى!.... هل كنت....

_ نعم!.... لكني لم أكن أعلم, صدقاً أقول لك....

هتفت (سارة) بينما أقترب (بينيامين) بكرسيه المدولب وهو ينظر إلى أخيه
الأكبر (جو) وقال بنبرة أسفٍ وهو ينظر ساره أيضاً....

_ إذا! هذه هي زوجتك المسلمه التي هربت منك!

_ بينيامين!

_ هتف (جو) بألم بأخيه, بينما رفع (ديفيد) رأسه نحو أمه....

_ ماما! هل هربت من أبي حقاً! لقد أخبرتنا أن والدي كان مسافراً في مهام صعبه..... وأنه سيعود يوماً ما...

ذرفت (سارة) الدموع, بينما أمسكت كتف طفلها وهي تقول:

_ نعم يا حبيبتي! لقد عاد للتو من سفره...

تبادلت النظرات مع (جو) سريعاً, ثم أخذت بيدي طفلها وهي تقول بحزم دون التفات منها نحو (جو) الأب...

_ علي العودة الآن الى شقتي لأرتاح.... فلنذهب الآن... هيا بنا....

_ أماه! أريد البقاء مع أبي لرؤيته! أرجوك....

هتف (ديفيد) فتوقفت (سارة) للحظات وهي تنظر طفلها يرفع نظراته التي كانت نسخة طبق الأصل من نظرات والده الذي كان جاثياً قربها على ركبتيه ينظر إليها بألم وعتاب شديدين....

ارتبكت (سارة) بشكل كبير ولم تعد تعرف ماذا تقول أو تفعل,

نظرت إلى صغيرها مرة أخرى غير مصدقة مايفعل وهو يحيط (جو) بذراعيه ويلتصق به بحنان بينما يقبله (جو) عدّة مرات...

_ أنا سابقى مع (بابا).... لقد رأيتهم للتو! سأذهب معه!

_ آه!.... حقاً لك هذا.....

_ ماما! دعي (جو) معنا أيضاً.... أرجوك يا أمي, أرجوك!

_ هتف (جو) بصوت متوسل بأمه وهو يرى أخاه مصراً....

_ ماما! أنا أريد اللعب مع أخي (ديفيد) والذهاب مع (أبي)!!

_ رحماك يارب!

هتفت (سارة) بغضب وقد أسقط مافي يدها, ثم أردفت....

_ حسن! إفعل ماشئت (ديفيد) فذلك حقك بعد كل شيء!

ولقد كنتُ دوماً أفكر.... كيف لي أن أدعك ترى والدك!؟

_ حسن! إذا فقد كنتِ (يوماً ما) تفكرين!

هتف (جو) الأب بإستهزاء وهو يرفع (جو) الأبن فوق ذراعيه الى الأعلى

بينما أمسك بيد طفله (ديفيد) واردف وهو ينظرها بكبرياء....

_ أنظري كيف عادا إليّ رغماً عن أنف الجميع! وصدفة!

_ صدفة! آه!

هتفت (سارة) بسخريه وهي تخلع أزار الطبييه الأبيض....

_ آه! كتلك الصدفة التي عذبت فيها شخصاً بريئاً, وقتلت كل شيء جميل

فيه.... كتلك الصدفة التي أقنعتني بها عندما ألتقيت بي في المترو.... كل شيء

كان صدفة!

نظرت إليه بغضب فلانت نظرات (جو) وهو يراها ترتعد وترتجف غضباً

بينما تتكلم وقد استشاطت غضباً وحُذقاً...

_ لا أريد التحدث بشيءٍ أمام طفلي... لكنك... لكنك قتلت كل شيء بيننا....

تتكلم عن الخيانه.... تتكلم عن الثقة والصدق.... لا تحدثني عن شيء... لكنني

رغم كل شيء... لا يمكنني منعك من طفليك الآن... خذهما.... أنا عائدة الى

شفتي... وداعاً...

قالت ذلك وهي تبتعد عن باب غرفة مريضها تاركةً (جو) و(بينيامين) في حيرةٍ ودهشةٍ من أمرها....

إستعلم (جو) الأب الحنون عن عنوان سكن (سارة) من مكتب إستعلامات المشفى, كي يعيد لها طفليه بعد إن أخذهما معه وذهب بهما الى والدته التي لم تصدّق رؤيتها لحفيدها الذي أحبته كثيراً, (ديفيد), بين ذراعيها مرةً أخرى... فقالت لولدها الأكبر (جو) وهي تقبل (ديفيد) وتهمس له عن شدة شوقها له....

_ سوف يذهب معنا إلى أميركا, أليس كذلك؟

_ لكنني أريد أمي!

هتف (جو) الصغير, فنظرت الأم نحوه بتوجس وهتفت وهي تنظر الى (جو) الأب.....

_ عليك فوراً القيام بتحليل (الذي أن أي), لأنني لا أصدق كلام تلك العربيه المسلمه...

_ اماه! أرجوك.... كفى! ليس أمام طفلي!

هتف (جو) بأمه وهو يحمل (جو) الصغير فوق ذراعيه....

_ يجب عليك ذلك, إن عاجلاً أم آجلاً فمن ذا الذي يثبت صحة كلام إرهابيه.... قامت بما قامت به دون علمك....

وهنا هتف بينيامين وهو فوق فراشه ينظر الى والدته....

_ اماه! هل يمكن أن تفهمني أحدٌ ما ما الذي يجري, ومن هي الإرهابيه, ومن هو الشخص الذي عدبته أنت يا جو وتركتك زوجتك لأجله.... هل يمكنني أن أفهم....

نظر (جو) الى بينيامين بآلم, وقال بصوت تخنقه العبرات....

_ ذلك أمرٌ سأحدثك به يوماً ما.... أمّا الآن, هلّم يا صغيري
لتعود الى والدتك....

قال (جو) الأب ذلك, عندما قفز (ديفيد) من بين ذراعي جدّته وذهب ليتعلق
بساقي والده وهو يهتف.....

_ بابا! أريد العودة معكما الى أمي....

أمسك (جو) الأب بيد (ديفيد) الصغير بينما كان يحمل (جو) الأبن من ذراعه
لماذا سمّته على اسمه إلّا اذا كانت لاتزال تحبّه وتريد بتسميه طفلها باسمه
تذكرّه على الدوام؟؟!.....

عندما خرج عائداً الى شقة (سارة) حاملاً طفليه معه,

مرّ بسيارته قرب مختبر تحليلات, فتوقف عائداً إليه,

ودلف مع طفليه ليقوم بتحليل (دي أن أي) كما قالت له أمه, بينما ظل ديفيد
يتسائل فقال له الأب على وجل....

_ لاشئ يا حبيبي..... سوف نعود سريعاً الى ماما....

فتحت (سارة) الباب ليدخل طفلها مسرعين نحوها فجنّث على الأرض
تحتضنهما وتقبلهما بينما ظلّ جو واقفاً خارج الشقة ينظر إليهم, ثم التفت عائداً
نحو سيارته.... ناداه ديفيد:

_ بابا! ألن تأتي! تعال هنا يا أبي....

_ أرجوك, بابا.....

صاح (جو) الصغير فنظر (جو) الأب الى (سارة) وتبادلا نظرات مبهمه
لا يعرفان كنهها.... نظر (ديفيد) الى أمه, وقال بإستنكار.....

_ لقد ذهب أبي بجو الى الطبيب في طريقنا, وعمل له تحليلات...

_ ماذا!!! ماذا به جو! هل أنت بخير يا طفلي!

هتفت (سارة) بطفلها الذي حمل صفات والده الوراثة من شعر أشقر ولكن عينية كانتا زرقاوتين كعينيها تماماً...

شعر (جو) بالأرتباك بينما كانت (سارة) تنظر إليه بتوجس....

_ قل لي مابه طفلي! ماذا حصل له!

_ لاشيء...

_ ماما! لقد سمعت جدتي تقول لأبي عن ضرورة عمل تحليل (دي أن أي)....
أليس كذلك يا أبي....

_ وما أن قال ديفيد كلماته تلك حتى قفزت ساره نحو الباب الزجاجيه لتسدها بوجه جو وهي تصرخ....

_ إبتعد الآن.... إذهب حتى تتأكد أنه طفلك.... فحياتك كلها شك وأستخبارات وجاسوسيه, لقد سئمت منك.....

لا تأتي حتى تجلب التقرير معك وأنت متأكد من أبوته!!

وقفت (سارة) خلف الباب الزجاجيه مباشرةً مقابل (جو) الذي وضع راحة يده فوق الباب أمامها وأراد أن يقول لها أنه لم يكن يعمدُ فعل هذا,

لكنّ الكلمات ماتت على شفثيه وهو يتأمل جمالها وعيناه تلتقيان بعينيها فتوقفت (سارة) لدقيقه كأنها الدهر_ وكان الوقت توقف عندها في تلك الدقيقه وهما يختزلان مامرّ بهما في خمس سنوات, في تلك الثواني الداخلة بتفاصيل دقيقه واحده.... قال لها كلاماً كثيراً, قال لها أنه لايزال يحبّها أكثر من نفسه, وأعتذر منها عن كل مافعله مع أخيها, ولعلّه أخبرها بعينيهِ الفيروزتين أنّه كان قادراً على القبض على أخيها يوم رماها بطلقه من مسدسه, لكنّه سهّل له خروجه لأجل عينيها, وبسبب ظلمه له مسبقاً.....

قالت له, إنها أحبته كل تلك السنوات ولم تنسَهُ يوماً بعينيها الزرقاوين الغامقتين
بينما (شعرها) الأسود الطويل ينسدل أسفل قميصها الملون بخطوط زرقاء
وحمرات تزيد جمال طلتها, محيطاً بوجهها الأبيض المدور, بلامحه الدقيقة
التي عشق (جو) كلّ تفصيل به, من أعلى جبينها الصغير حتى حاجبيهما
الطويلين الأسودين وهما يحيطان أعلى عينيها الواسعتين بينما هما تضمّان
بينهما أنفاً مستدقاً طويلاً يقف فوق شفيتين نحيفتين قد رسمتا بدقة فائقة.....

قالت له, أنّها انتظرتة كل ليلة, وكل يوم, وأنّها قد سمّت طفلها (جو), كي
يذكرها به دوماً, لأنه جزءٌ منه, وقطعةٌ من كبده.... حاولا الكلام عدّه مرات
لكنهما صمتا, ورفع (جو) يده من فوق الباب الزجاجي الذي حال بينهما, وأدار
ظهره لها لتدمع عيناه, وسار نحو سيارته التي كانت على بعد خطوات عندما
سقط على ركبتيه فجأةً, فتحت (سارة) الباب مذعورةً وهرعت إليه.... وجدته
ينزف دماً وقد أصيب بطلق ناري في معدته كان يضع يديه فوق بطنه وقد
أمتلأتا دماً, فنظرت (سارة) أعلى بنائيةٍ مقابلةٍ لشقتها واحتضنت (جو) ليكون
ظهرها مقابلاً لأي شخصٍ يحاول قتله أياً كان, ولو أنّها في سرها شعرت أنّ
لأخيها (سمير) يداً عليا في ذلك الأمر, ولذلك ضمّته بقوة وهي تبكي بينما
وضعت رأسه فوق صدرها كي لا يرميه القناص في رأسه.... أخذت تردد
وهي تبكي " دعونا بسلام" !.... كفى حرباً!.... كفى" !....!

وأستدارت برأسها نحو صوت دراجةٍ نارية تسير بسرعه فوجدت فوقها شخصاً
قد ارتدى ثياباً سوداء وخوذةً سوداء وببيده مسدس كان موجهاً نحوهما....
أغمضت عينيها وهي تستسلم للموت المحتم,

لكنّ الدراج دهب بعيداً دون أن يمسه بسوء.... التفتت (سارة) نحو (جو) لتقبّل
رأسه وهي تردد بذعر وجسدها يرتعش

_ عش لأجلي يا(جو)! عش لأجلي يا حبيبي! أنا لن أتركك....

_بابا, بابا.... سلامتك....

قدم (ديفيد) باقةً من الورد لأبيه في المشفى حيث كان راقداً في غرفة مفردة, وبقربه أخواه (بينيامين) و(إيزاك) الذي جاء لرؤيته.... كان (جو) الصغير يسير خلف أخيه حاملاً باقةً ورد أخرى قد أخفت وجهه خلفها, تقدم نحو سرير والده فكان طوله مع باقة الورد, لا يصل الى حافه السرير ولم ينتبه (جو) الأب لوجوده حتى رأى باقة وردٍ تتحرك أسفل منه.... كان يتحدث مع أخويه بينما رباط سميكة قد غطى جرح معدته أسفل قميصه المفتوح الأزرق... نظر (جو) الأب مستغرباً بينما ديفيد قد جلس في حجر عمه (إيزاك) الذي أخذ يقبله ويكلمه ويمارحه....

_ من هناك! ما هذا!

فجأة وجد باقه ورد ترتفع من جانب سريرهِ.... كان هناك صوتٌ ضعيف يتحدث, فهتف ديفيد بأبيه_ وكان على الجهة الأخرى (جالساً) في حجر عمه بينيامين....

_ بابا! إنه (جو)! لقد جاء ورائي.... ألم تره!

رفع جو الأب باقه الورد ليرى صغيره خلفها ينظر إليه بخجل وعيناه الزرقاوتان تلتمعان بسعاده....

_ بابا! شكراً لله أنك بخير....

_ أه! يااللهي! حبيب قلب أبيك....

هتف (جو) الأب وهو ينظر صغيره بحبٍ وسعاده ليرفعه بذراع واحدة قُرْبَهُ فوق سريرهِ ويقبلُ وجنتيه.... كانت نتيجة تحليل الـ (DNA)

قد وصلت إليه عبر والدته ذاتها, التي رمت التقرير أمامه, وهي تزوره في المشفى بعدما أصيب بذلك الطلق الناري في معدته, وكانت في مزاجٍ غير طيب....

_حسن! كل مرة أريد فيها التخلص من هذه المسلمة العربية, تنجبُ لك ابناً....
خذ تقريرك..... إنه ابنك بنسبة ألفٍ بالمئه....

سحقاً لها... أنا لم أُحبها يوماً ولن أحبها....

لم تجلب لك سوى سوء الطالع وأنت لا تزال تركض خلفها,

وتريد رضاها ولستُ أعرف لماذا! لماذا يا ولدي البكر.... يا قرّة عيني ومصدر
فخري.... أنت الظابط المقدم في الاستخبارات, ومن سيرقون رتبك الى
(عقيد)!!

ستكون أعلى رتبةً مني بإنجازاتك ونشاطك, وذلك الأمر, يسعدني ويزيدني
فخراً..... لكنّ.... وجودُ هذه الفتاة في حياتك, جعلك تتراجع في عمرك....
تراجع عن دينك! لم تعد تمارس طقوسنا, لم تعد (جو) الذي ربّيته!!
كذت أن تموت مرّاتٍ عديدة بسببها!! لماذا! أنت....

أنت يا حبيبي, تمتلك ألف فتاة!.... أنت من ترغب بك أجمل النساء!
قالت الأم ذلك وهي تمسك وجه ولدها الأكبر بيديها.... كانت ملامحه تشبه
ملامحها كثيراً, وكان (جو) هو المفضل دوماً عندها....
نظر(جو) الى والدته بحبٍ وأمسك يديها يقبلهما.... وقال لها....

_أماه! إسألني هذا!!!

وأشار بيديه الى قلبه.... ثم تابع وقد أدمعت عيناه....

_ هل رأيتِ ماحلّ بي في تلك السنوات التي مضت, عندما عشتُ دونها وبعيداً
عنها....

هل رأيتِ ماحلّ بي.... ألى ماذا تحولت؟

مجرد مسخ يكرهه جميع مرؤسيه! الكلّ يعمل بأمرتي لكنهم يكرهونني, فقد أصبحت شخصاً لا يطاق.....

فـ(سارة), يا أمي الحبيبه, تجعل مني شخصاً آخر.... ثم.... هناك طفلاي, ونحن أسرة متكامله رغم أنك لا تودين الاعتراف بها.....

لكنهما حفيداك شئت أم أبيت وقد جلبت هذا التقرير بيديك رغم أنني كنت متأكداً من أبوه (جو), وواتقاً من حبييتي (سارة), لكنني قمت بهذا التحليل لأجلك....
أماه!

تبادلا النظرات لثوانٍ عندما رفعت الأم رأسها وعادت تقف بكبرياء قرب سرير (جو) لتذهب بعد ذلك مبتعده عنه....

كانت تلك الأم بالذات قد دلفت في تلك الأثناء التي كان فيها (جو) الأب يتحدث مع أخويه لتجد حفيديها في الغرفه, فرق قلبها وهي تنادي الصغير (ديفيد) _ الذي كانت تعشقه للغاية:

_ ديفيد! حبيبي! تعال الى جدتك!

_ جدتي! جدتي!

هتف ديفيد وهو يقفز من حضن عمه (إيزاك) ليذهب نحو جدته ويحتضنها بسعاده بالغه.... نظر (جو) نحو جدته ثم نحو أبيه ولم يتكلم عندما نظرت الجدّه إليه بحنان.....

_ تعال يا صغيري (جو).... تعال الى جدتك لتحتضنك.....

قفز (جو) من فوق سرير (جو) الأب بعد أن أخذ الموافقه بأشاره....

من عيني أبيه, وأخذ يحتضن ساقى جدته _ كونه صغيراً للغاية بالنسبه لطولها _ فضحك الجميع عليه, بينما انحنت الجدّه نحوه لتحتضنه وتشبعه قبلاً.... في تلك الأثناء , جاءت (سارة) لثعابين جرح (جو), كونها الطبيبه

المسؤله عن علاجه والمشرفه عليه _ فران صمتٌ سريع وسكت الجميع ناظرًا إليها.....

كانت الجده تحتضن حفيديها.... لم تنظر إلى (سارة) مطلقاً, بل أشاحت بوجهها بعيداً عنها.... هتفت (سارة) بعد لحظات وهي تنظر ألى طفليها ثم إلى (جو) وأخويه....

_ مرحباً!.... كيف أنتم....

_ مرحباً (سارة)....

هتف (إيزاك) بينما نظر (بينيامين) بحبٍ وإعجاب لها....

_ سعيدٌ جداً برؤيتك حضرة الطبيبيه.... لقد مرّ وقتٌ طويل.....

نظرت (سارة) نحو بينيامين فارتبكت نظراتها أمام نظراته, وأسرعت تحدث (جو) وهي تقترب من سريره لتري جرحه....

_ كيف أنت اليوم.... كيف هو جرحك....؟! هل تأخذ دواءك بانتظام.... قالت ذلك وهي تنظر إلى اللوح المعلق بسريره, حيث كتبت الممرضه مواعيد دوائه وآخر مرة تناول فيها آخر حبه....

نظر (جو) الى (سارة) بسعاده وهتف بإمتنان....

_ أنا بخير مادمتِ أنتِ طبييتي!

رفعت (سارة) عينيها نحو (جو) فوجدته ينظر إليها بحبٍ كما كان من قبل أن تتركه, فارتبكت كثيراً....

_ حسنٌ إذاً سأتي لرؤيتك ومعاينة الجرح في وقت آخر....

عن إذنكم جميعاً....

هتفت بسرعه وارتابك , ووضعت يديها في جيبي مئزر الطبيه,الذي ترتديه
وسارت مبتعدةً بسرعه.... هتفت بنفسها وهي تسير في الردهة بين غرف
المرضى....."ماذا بك!!"....

لكنها لم تعرف أن قلبها كان ينبض بحبّ (جو) بكل ماأوتي من قوة...
هتف (بينيامين) بوالدته بعد رحيل (سارة).....

_ أماه! هل تشكرتِ من (سارة) على أنقاذي!! لقد فعلتُ معجزةً طبيه! كان من
الممكن أن أموت حقاً لولاها! شكراً للرب يا أماه!! هل عرفتِ أنّها نفسها
طبيبتى المنقذة!؟

رفعت الأم رأسها بدهشةٍ نحو (بينيامين) ونظرت إلى (جو) بذهول, فأوماً
(جو) برأسه موافقاً على كلام أخيه, وعندها أدمعت عينا الوالده, وذرفتُ
دمعتين رغماً عنها بينما كانت لاتزال تضمّ حفيديها فوق حجرها وقد جلست
على مقعد قريب في زاوية الغرفه....

قضى (جو) فترة نقاهته في شقة (سارة), حيث اعتنت بجرحه, وأخذت طبيبه
.... كانت قد أخرجته من المشفى كي يرتاح في شقتها بين حضني ولديه
الصغيرين, وخوفاً عليه, من اغتيال غير معروف على يد شخص مجهول على
حين غفله....

كانت قد التفت (سميراً) قبل إخراج زوجها من المشفى قرب مدرسه (ديفيد)
حيث كانت تنتظره بحجة انتظار ولدها....

_ هل أنت من فعلها؟

هتفت به وهو يجلس قربها فوق مصطبه خشبيه أمام حديقة المدرسه المحاط
بسياج من قضبان سوداء....

_ لا! لم أكن أنا.... لكني ألغيت العملية عند رؤيتك وقد خرجت هارحاً إليه....
كان من الممكن أن تُقتلي, وقد كلفني الأمر الكثير حتى ألغي العملية.... كان
هدفاً سهلاً وكنا قد قررنا تصفيته.... لماذا تصرين على إنقاذه؟

وهنا التفتت (سارة) نحو(سمير) بينما تتمم هو يغضب....

_ لا تلتفتي إليّ.... سوف تكشفين كل شيء....

عادت ساره الى وضعها السابق, لكنها تحدثت بغضب...

_ أنه والد طفلي! ألا تفهم!.... أنا.... أنا....

وهنا رقت نبره صوتها, وتحدثت كأنها تكلم نفسها....

_ لقد أحببتكما كليكما.... أولا تفهم يا (سمير)

أنت... أهلي.... لا كلّ مابقي لي من أهلي وكلّ أهلي أنت

أنت دمي ولحمي وأصلي, ومن المستحيل لي أن أسلمك الى (جو) أو أن أوقع
بك, رغم عدم أقتناعي بما تفعل....

وأيضاً عدم موافقتي عليه في أحيان كثيرة أخرى.... أنا أحبك!

أحبك رغم أنك حاولت قتلي! أحبك.... وأحبّ (جو)....

هل تفهم! أنا, أحبّ (جو) رغم أنه قد عدّبك وقد أدى بك إلى ما أصبحت عليه,
ورغم أنني هربت منه, لكنّه أصبح أمراً واقعاً علينا جميعاً تقبله.... وهو أنه
والد طفلي....

إنه زوجي ووالد (جو) و(ديفيد) أبني أختك!.... لقد قال لي في المشفى أمراً!
قال لي ذلك وهو يبكي ويعتذر مني بينما لم أجبّه بشيء.... قال لي أنه لأجلي
غير طريقة تعامله مع العرب, والمسلمين.... وأنه كان يمكنه يوم ضربتني
بطلقتين من مسدسك, أن يرميك في السجن طيلة عمرك, لكنّه لأجل شعوره

بالذنب تجاهك, وبسبب حبه لي, لم يفعل ذلك.... بل على العكس, سهّل خروجك من حيث لا تدري أنت ولا أدري أنا.... ستقول لي أنه كاذب, فأقول لك أنه ليس مضطراً للكذب الآن, وقد كان من الممكن أن يرمي بك فعلاً في السجن ويعذبك بعد ذلك الاعتراف في القرص المدمج, لكنّه أخبرني كونه قد أتلفه ولم يريه لأي احد.... حسنٌ يا (سمير).... دعنا نعيش بسلام, فلو كان غير صادق, فلماذا يصرّ على العيش معي.... هل أنتهت نساء الأرض!!

هل أختك هي أجمل النساء وأفضلهن على الإطلاق, ليظلّ (جو) راغباً بي, لولا أنّه يحبني كوني (زوجته)!! أرجوك.....

إنتهت (سارة) من كلامها وهي تذرّف الدموع.... فجأةً وجدت (سمير) يمسك بيده ويكفّف دموعها بيدها الأخرى وقد رفع النظارات عن عينيه....

_ أنتِ أروع فتاةٍ في العالم. ولذلك أحبّك (جو), وهو محظوظٌ جداً بك.... أنتِ الرابط بين الشرق والغرب, بين العرب والأميركان, أنتِ.... أجمل نساء الأرض وأطيب امرأةٍ في الكون كلّهُ.... إنّ (جو) لم يعد قادراً على العيش دونكٍ لأنه جرب الحياة معك مرةً فوجدك الحياة ذاتها, فأنتِ الشباب والخصب وكلّ الجمال يجتمع هنا في نظرةٍ من عينيك.... بكت (سارة) وبكى (سمير) واحتضنا بعضهم البعض....

_ (سارة)! أرجوك!

هتف (جو) وهو ينادي (سارة) بعدما طببت جرحه في غرفتها في الشقه حيث أخذته بعد علاجه في المشفى وذهب الخطر عنه بقيامها بعمليةٍ جراحيةٍ له _ بنفسها.....

_ ماذا هناك؟ هل أنت بخير.... هل تتألم.....

التفتت (سارة) بقلق نحو (جو), فالتمعت عيناه بسعاده.....

_ هل تخشين عليّ يا (سارة)!!؟

قال بصوت خاشع, وأمسك يدها التي وضعتها على حجره بقلق.....

_ (جو)! ماذا تفعل...!؟!

_ هل أرى نفس ذلك القلق الذي رأيته في عيني فتاةٍ كانت تدرس الطب في شقةٍ مشتركة مع فتاةٍ صينية؟!...!!!

هل لا تزالين تخافين عليّ....

همس بصوت خفيض عند جملة الأخرى, فنظرت ساره إليه لدقائق ثم سحبت يدها وذهبت مسرعةً نحو الباب وقبل أن تلقي عليه تحية المساء, وجدت طفليها يتدافعان نحوها....

_ ماما! ماما.. تُريد أن يحكي بابا لنا قصه ككلٍ ليله....

أسقط مافي يد (سارة) فتحت الباب على وسعه لهما ونظرت إليه لثوانٍ وهما يتخذان موضعهما قرب (جو) وكل واحد منهما قد احتضن ذراعاً, فأحدهما على يمينه والآخر على يساره....

كانت نظرات (جو) لاتزال متعلقةً بها, فهربت بنظراتها منه, وخرجت من الغرفة لتغلق الباب خلفها.....

دلفت (سارة) شقتها وقد فتحت الباب بمفتاحها, واغلقت الباب خافها لتنادي طفليها كما اعتادت أن تفعل عندما تعود من عملها عند المساء من المشفى.... لم نجد رداً, فشعرت بنوع من الخوف وأخذت تنادي وهي تبحث عنهما في المطبخ, ثم في غرفة الطعام, ... صعدت السلم الى غرفتهما, لم تجد أحداً, وفجأةً وبينما هي تتوجه نحو غرفتهما, سمعت أصوات ضحك طفوليه وصوت شخص يقلد أصوات الحيوانات... فجأةً خرج من غرفتها (جو) وهو يسير على يديه وقدميه, بينما (ديفيد) و(جو) قد صعدا على ظهره وهما يقهقهان....

دُهِشَ (جو) برؤيتها, وكذلك الطفلان اللذان هبطا بسرعة عن ظهر والدهما الذي تدارك ارتبাকে بنهوضه عن الأرض وهو ينفذ بنطاله الأزرق بيديه... رفع نظراته المحرجة نحوها....

_ أه! اقد عدت مبكراً!

_ ألم تكن مسافراً منذ فتره! لم أعلم أنك قادم....

_ نعم! لقد جننت على حين غفله.... اشتقت الى الطفلين....

أنا عن نفسي لم أعلم أنني قادم.... قررت فجأة أن آتي....

_ إذاً أين المربيه!

_ لقد صرفتها! لم أحتج وجودها معي أنا وطفلي....

نظرت (سارة) بارتباك نحو(جو)..... تبادلا النظرات لثوانٍ...

كان (جو) قد غادر شقتها بعدما برأت جراحه وعاد الى عمله في أميركا ولم يتحدثا عن عودتهما لبعض ولم يناقشا أي شيء.... نظر (جو) الى (سارة) بحبٍ وهمس بصوت متهدج....

_ كنتُ قد عدتُ لأناقش قضية الوصاية على طفلينا, إن كنتِ تريدين الانفصال عني....

_ نعم... حسناً... كما تريد... هل تناولت طعاماً أم لا...

هتفت (سارة) وقد قفزت الدموع الى مقاتيها لكنها أمسكتها بقوة, توقف (جو) عن الكلام وقد شعر بانزعاجها.... أمسكت (سارة) مسند السلم, وتقدمت لتهدب نحو الطابق السفلي عندما مرّت قرب (جو), وهنا أمسك (جو) يدها, وتوقفت تنتظر إليه لثوانٍ....

نظرا بعضهما البعض....

_ تريد مناقشة قضية الوصاية هكذا إذا....

_ نعم... حسناً... كما تريد.... هل تناولت طعاماً أم لا....

هتفت (سارة) وقد قفزت الدموع الى مقلتيها لكنها أمسكتها بقوة, توقف (جو) عن الكلام وقد شعر بانزعاجها.... أمسكت ساره مسند السلم,

وتقدمت لتهبط نحو الطابق السفلي عندما مرّت قرب (جو), وهنا أمسك (جو) يدها, وتوقفت تنظر إليه لثوانٍ....

نظرا بعضهما البعض....

_ تريد مناقشه قضية الوصاية هكذا إذا....

_ أريد مناقشة أمر آخر معك أيضاً لو سمّحت....

تنهدت (سارة) وقد أبعدت نظراتها عنه, فهمس (جو) بسرعة....

_ كنت أريد أن أناقش معك أمراً أكثر أهميه....

رفعت (سارة) ناظريها نحو عيني جو فوجدتها قد التهبنا حباً وشوقاً.... لم يعودا يستطيعا الكلام, لمّا أحتضنها فجأةً واعتصر جسدها بين ذراعيه وهو يهتف بصوت حان....

_ أحبك يا سارتي..... أحبك... الى الأبد....

أخذ جو يتردد في العطل والأجازات التي يأخذها من عمله, إلى حيث تسكن (سارة) وطفلاه, وأستقرت حياتها على ذلك المنوال....

أنجبت (سارة) ابنتين توأمين بعد (جو) الصغير, وأعقبها بتوأم ذكر وأنثى, فحققت لجو ماكان يتمنى....

دلف (جو) في إحدى المرات الى المنزل, عائداً في إجازة....

هرع الأطفال نحوه بسعاده, عندما خرجت (سارة) من المطبخ تحمل طفلها الصغير بين ذراعيها وكانت قد أسمته (ميخائيل)....

نظر (جو) الى (سارة) بسعادهٍ مستفيضة وهي تتقدم نحوه لتحتضنه وترحبّ بقدمه.... قال لها بصوته الدافئ....

إتركي الطفل وهلمي لتتجهزي للخروج هذه الليلة معي ...

_ إلى أين؟!

تساءلت بذهول, فنظر إليهما بمكر وقال....

_ معقول! أذكر أنا وتنسين هذه الذكرى الرائعه!...

نظرت (سارة) إليه بدهشه وحاولت أن تستذكر بينما أعطى صغيرها لديفيد الذي أصبح شاباً مراهقاً....

_ حسناً! لقد تفوقت عليّ هذه المره....

_ إصعدي الى غرفتنا وسألحق بك, هيا بسرعه بينما احتضن أطفالي وأراهم قليلاً....

إنصاعت (سارة) لأوامر (جو), وصعدت الى غرفتها لترتدي ثياب الخروج, عندما ظهر (جو) من خلف الباب مبتسماً....

_ ألم تتذكري؟! معقول!! حبيبتني!

_ كلا! فعلاً مشاغل الأطفال تنسيني كل شيء يا (جو)!

وهنا, ضغط (جو) زراً في حاسوبه أعلى المكتب بعد أن وضع قرصاً مدمجاً فيه.... كانت نغمات موسيقيه لأحدى أغاني (أم كلثوم) القديمه.... وبحكم

تربيته (جو) من أمٍ شرقيه_ فقد كان يعشق ألحان أغاني تلك المغنيه....

نظرت (سارة) الى (جو) بذهول, وزادت دهشتها, فلم تفهم ماذا يقصد, عندما

أنطلقت ضحكه منها بشكل لا أراذي وهي ترى (جو) يرفع ذراعيه بعد أن خلع
سترته ورمها على الكرسي القريب, ليتراقص مع أنغام الألمان وهو سعيدٌ
للغايه.....

_ قل لي ماذا هناك!!

هتفت (سارة) بينما أقترب (جو) منها وهو لا يزال يرقص.....

_ أرقصي معي, هيا.....

_ (جو)!

صاحت (سارة) بدلال وهي تعترض عليه, لكنه رفع يديها نحوه وقام
يراقصها.... أخذا يضحكان بينما همس هو لها....

_ اليوم ذكرى رؤيتي لك.... اليوم هو يوم تعرفتُ عليك قبل عشرين عاماً....
أذكرين حبيبتي, هه..... يوم سقطت في المترو مخرجاً بدمائي وأنقذتني.....

_ رباة! هل أرختَ هذا اليوم! كيف تذكره!

_ اليوم! قاموا بترقيتي في عملي وقمت بمراجعته ملفاتي,

فعثرت على ملفك, وتذكرت اليوم الذي كنتُ أرقبك فيه, قبل أن يتعقبني جماعةٌ
من أتباع أخيك (سمير) ويحاول قتلي, فشاء الله أن تنقذني يداك الملائكيتان,
حبيبتي.... أليست هذه أجمل ذكرى في حياتنا كلها... قلتُ لكِ أنني سأظلّ لكِ
مديناً بحياتي عمري كله.... فلولاك, لكنتُ الآن مجرد عظامٍ باليه تحت شاهدٍ
وضع فوقه إسمي وأكليل ورد قد ذبل.....

_ صه! معاذ الله! عمري قبل عمرك.....

قالت (سارة) ذلك وهي تضع أناملها فوق شفتي (جو) الذي أبتسم بسعاده وقد
أمسك يدها ليقبلها.....

_ هيا! هلمي لنذهب من الأطفال الى المطعم.... سوف يفرحون بخروجنا سويةً
....

_ عليّ الأتصال بالمربيه لترعى الصغيرين ميخائيل وراحيل!
..... لكنني أخشى أنها لن ترضى القدوم الآن دون سابق أنذار!!!
هتفت (سارة), فهمس (جو) لها بسعاده....

_ كلا! لقد اقترحت والدتي عليّ أن أجلب لها التوأمين.....
أجل.... أنتِ لا تصدقين!هه!

وهنا انفجر بالضحك بينما (سارة) تقف أمامه مندهشه....

_ هل تهزؤ بي يا(جو)!

_ مطلقاً حبيبتى.... لكن.... فعلاً فعلاً, والدتي أشتاقت لرؤية الأطفال ولذلك
جلبتها معي, وقد حجزتُ لها في فندق قريب, وهي من طلبت رؤية التوأم
(راحيل) وميخائيل....

_ حقاً! كيف ستتدبر أمرهما!؟!

_ لن نتأخر عليها حبيبتى..... هلمي لنذهب جميعاً لزيارتها

_ حسناً! هل أخبرت الأطفال كي يرتدوا ثيابهم!

_ سأخبرهم حبيبتى.... هيا.... لنسرع قبل أن يلغوا الحجز.....

كان (سمير) غير مصدقٍ لرؤيته لطفليه وأسرته ووالديه, وذلك بعد أن قام
(جو) _سراً_ بتسهيل خروجه من كندا, وعودته الى بلده.... ذلك بعد أن تعهدّ
أمام (سارة) بقطع علاقته بأي عناصر إرهابيه, إن أستطاع العودة الى وطنه...
لقد أعطى (سارة) بالمقابل ضماناتٍ تدخله الى السجن طيل حياته, إن نكث
بوعده لها و لـ(جو).... كان ذلك كله بتدبير من (سارة) التي طلبت من

(سمير) التوقف عن أية عمليات إرهابية والعودة الى (سمير) الذي تعرفه (هي) قبل أن يصبح مجرماً دولياً....

بالمقابل وبسبب المعلومات التي أدلى بها (سمير) لأخته, عن أسماء وعناصر وأعضاء في تجمعات اسلامية ارهابية, قام (جو) بتوقيفهم فعلاً والعثور عليهم متلبسين بالجرم المشهود, حصل (جو) على ترقية جديدة.... وبعد أن كحل (سمير) عينيه برؤية أسرته, خشى عليهم من أعضاء عناصره الإرهابية الذين كانوا تحت أمرته, أن يغدرو به وبعائلته, فقام بتغيير أسمائهم وأسمه وودّع والديه, ليسافر في مكانٍ ما, لم يخبر أحداً عنه حتى أخته (سارة) وكذلك خشى (جو) على (سارة) من انتقام العناصر الإرهابية بعد اختفاء (سمير), ولذلك أشار على (سارة) أن تعود معه الى اميركا وأن تسكن في منزل كبير مؤمن وله عناصر أمينه لحراستها, وهكذا انصاعت (ساره) لأوامر (جو) وتركت عملها الذي اعتادت عليه في المشفى لتحمي أطفالها وأسرته.... لكنها وبعد عودتها الى أميركا, بفترةٍ غير طويلة, عادت لممارسة الطب الذي عشقته مثل طفل من أطفالها....

الخاتمة *****

كان (جو) جالساً بجوار (سارة) وهما يشاهدان التلفاز, عندما دلف (ديفيد) الصالة حاملاً بين يديه ورقةً مطويةً وهو يبتسم بسعادة؛

_ أمّاه!... أبتاه!....

صاح بحماس, فرفع (جو) رأسه من فوق حجر (سارة) وأنتبه لوالده الذي أصبح شاباً في العشرينات من عمره....

_ لقد قبلوني في العمل! باركي لي يا أمّاه! باركي لي.... أنا الآن قبطان طيار, وقد تعينت في هذه الشركة العالمية, مرحى لي!

نهضت (سارة) تقبل ولدها بسعادة بينما أحتضنه (جو) وربّت على كتفه بفخر.... ظهر (جو) الابن وكان لا يزال في الجامعة, لم يتخرج بعد, وقد أختار كلية الطب مثل والدته..... أحتضن (جو) أخاه, لمّا دلفت الأختان التوأم يتبعهما (راحيل) و(ميخائيل) وقاموا جميعاً بتهنئة (ديفيد) وأحتضانه والالتفاف حوله....

نظرت (سارة) بسعادة فائقة لأطفالها وهم يتبادلون الضحكات والتهاني, وتبادلت مع (جو) نظرات الفخر والسعادة.... لقد مرّ زمنٌ طويل منذ آخر مرّةٍ رأيت (سارة) فيها (سمير) أخاها,

لكنّ أخباره كانت تصلها بين الفينة والأخرى بطرقٍ خفية, يدبرها (سمير) بنفسه..... أقول, بينما كان (جو) ينظر الى (سارة) بسعاده وفخر وهما ينظران أطفالهم, في منزلهم المؤمن الكبير, وإذا بصوت شئٍ مألوف على أذني (جو) يخترق زجاج النافذه.... نظر (جو) بغريزته

الأستخباراتيه, فعلم أنه غازٌ مسيل للدموع قد أُطلق في قنبلةٍ سقطت للتو في الصالة عبر النافذه..... وبسرعةٍ غير متوقعة, ضغط (جو) زراً في جهاز تحكم فتح باباً خلف المدفئة التي كانت أمامهم, أعطى (جو) أوامره أن يسرعوا بالأختباء عندما أغلق (جو) البوابه المخفيه وعاد كل شيء كما كان.... وجد (ديفيد) يلماً يؤدي بهم الى قبو أسفل المنزل, حيث أشار (جو) بسرعه له ولبقية أولاده أن ينزلوا مع (سارة),

التي أحتضنت أبنيتها بكلتا ذراعيها وسارت معها بسرعه....

كانت دقيقة صمن في الصاله, ران فيها هدوء غريب, قبل أن يدخل المنزل عدّة رجال بعد أن حطّم زجاج النوافذ سيلاً من رصاص رشاشات كلاشكوف..... دخل الرجال مرتدين أقنعه وبدلاتٍ مضادة للرصاص....أخذوا يبحثون عن (جو) وأولاده,

لكنهم لم يجدوا أحداً وأتصل واحدٌ منهم ليعلن فشل العمليه....

بقيت (سارة) مع أولادها وبناتها و(جو) في القبو أسفل المنزل, حيث وجدوا منزلاً كاملاً تحت الأرض, فيه أماكن خاصه كثيره, مخصصه لأنواع مختلفه من الأسلحه, مع وجود مؤن غذائيه, وبدلات مضادة للرصاص , وسيارتين مضادتين للرصاص أيضاً, ذهل الأولاد وهم ينظرون الى ذلك التصميم المدهش نحن دارهم دون أن يعلموا... هتفت (سارة) وهي تهمس لجو بعتاب....

_ ماذا الآن! هل لا يزال الأرهابيون يودونك ميتاً....

_ لستُ أعلم عمّ تتحدثين يا حبيبتى!

قال (جو) ذلك متداركاً النظر مباشرةً الى عيني (سارة) التي نظرت إليه مباشرةً وهي تمسك يده وتشدها بغضب....

_ هل تستمع الآن لنفسك! هل تستمع الى نفسك! أنظر!

لقد جاؤونا الى عقد دارنا هذه المره! ماذا ستفعل؟ هه, قل لي!

_ حبيبي! إهدئي.... إهدئي....

_ أميك (جو) بذراعي (سارة) وأخذ يضع يده فوق شعرها ويمرره فوقها
كي يهدأ....

_ إهدئي حبيبي... كل شيء سيكون على ما يرام!!

قال ذلك وهو يضمها بين ذراعيه فوضعت (سارة) رأسها فوق صدره
وهي ترتجف....

_ هل سيكون أولادنا بخير يا (جو)...

_ نعم , حبيبي... لا تبالي ... سوف أتصل الآن بجماعتي...

فقط, إهدؤوا وكل شيء سيكون على ما يرام....

رفعت (سارة) رأسها من فوق صدر (جو) ونظرت إليه بحزن وهب
تشعر بألم واستتكار شديدين, بينما هرعت الفتاتان التوأم نحوها يحتضنانها
وهما يرددان في آنٍ معاً....

_ ما الذي يجري يا أماه! ماذا حصل في بيتنا ومن اولئك؟

_ أن هؤلاء لن يتوبوا ولن يملوا من الحري, ومن القتل....

تعاليا يا حبيبتاي! تعالا إليّ....

أمسكت (سارة) بالفتاتين واحاطتهما بذراعيها بينما كان ميخائيل وراحيل
ملتصقتين بجو وديفيد إقتربت ساره مع أبنتها منهم تبادل الأولاد النظرات
لعدة دقائق, عندما ظهر (جو) من نهاية القبو, وعيناه تلتمعان ببريق
عجيب....

_ الطريق آمن.... هيا لتعد أدراجنا, لقد ذهب الخطر.... لكن....

إسمعوني جميعكم..... لا يتحدثن أحدكم, أتفهمون!! فمن المحتمل أن تلك العناصر الإرهابية قد زرعت كاميرات تلتصص أو أجهزة تنصت الآن, كي يستمعوا لحركاتنا وسكناتنا.... هلموا... على مهلكم....

سار الأولاد صاعدين الى أعلى يتبعهم (جو) ممسكاً بذراع (سارة),

وفتح باب الموقد السري ليعود الجميع أدراجهم الى اصاله التي بقي أثرٌ قليل من الغاز فيها فأسرع (جو) بتشغيل زرٍ لجهازٍ قام بسحب جميع الدخان المتبقي, وبينما دلف الجميع, واقفين لا يلوون على شئ, إذ انفتحت علبةٌ صغيرة, ظهر أمامها وفوق الجدار المقابل لأبناء وبنات ذينك الزوجين, صورةٌ مكبرةٌ لتسجيل صوري بتقنيه عاليه.... كان الضوء ينبعث من داخل العلبة الدائرية الصغيره..... فجأة ارتسمت على جدار صوره (سمير) الذي خلع نظارته السوداء,

وهتف قائلاً....

_ مرحباً يا أبناء وبنات أختي! أعرفكم على نفسي.... نعم! أنا....

أنا خالكم الذي لا تعرفونه, ولا تعلمون شيئاً عن أسره والدتكم المظلومه,
حسنٌ لقد أعطيتك كل ضمانه كي يخرجني زوجك من كندا وأختبي في مكان لا يعرفه إلا الله....

حسو.... كل هذا جيد لحدّ الآن.... لكنّ با أختي, أنتِ لا تعلمين أنّ زوجك خان العهد وأرسل عليّ كلاباً لأغتيالني عدة مرات.... رباه! كانت تلك كلماتك يا ساره لأجل طفلي.... هل تفهمين.... لقد أجاد (جو) دوره, ومثّل بشكل محترف ولقد كنتُ طيلة تلك السنين الماضيه وقد صدّقت ما قاله.... وظننتُ أنّه كَفَر عما فعله معي وأصبح صالحاً....

لكن هيهات يا (سارة).... أنظري الى أوراق زوجك أولاً....

أنها لاتزال يهوديه, يعني بمنتهى الصراحة.... أولادك هؤلاء غير شرعيون.... يعني أنك عشتي طوال هذا العمر عيشةً غير شرعية مع (جو), وأنت تحت شعار الشرعية قد أبيحتُ حرمانك.....

أختي الغالية, لقد غزّر بك.... وأيضاً بي, ولقد تابعوني ولا حقوني من دوله الى أخرى.... من الذي أرسلهم سوى زوجك؟ هه..... خبريني... أن ملفي كلّه عنده....

وهنا أعترض جو وهو يشبك ذراعيه واحدةً فوق أخرى....

_ هراء! لم أرسل أحداً وملفك ليس بحوزتي! لقد سلمته لمن هو أدنى مني مرتبه....

قال (جو) ذلك بينما أكمل (سمير) تسجيله الصوتي السوري....

_ حبيبتى (سارة).... لقد أصبحتُ أنا وأسرتي مطاردين من قبل عناصركم بين يوم وليله.... لكن لماذا.... رغم أنه لم يمسنى بمكروه طيلة سنوات كثر.... أنا لا أنكر له ذلك, أن رأيت أنت وأولادك هذا المقطع فأوصلي لهم تحياتي.... لقد شكرت زوجك اليوم وأرسلتُ له عربون شكر صغير, لأنه تسبب بتقطيع ساقي ولدي الأوحد الذي لم تره عمته لحد الآن.... أنظري صورته!

وفجأةً ظهرت صورة شاب مقعد على كرسي مدولب يشبه (سارة) و(سمير) كثيراً لكنه بلا ساقين.... عاد (سمير) للحديث بينما ساره تذرف دموعاً حرّى وقد وضعت يدها فوق فمها كي لا تصرخ ذعراً أو رعباً من شدة هول الموقف عليها....

_ دعيني أقول لك يا غاليتي أنا لا أعلم.....فأما أنّ (جو) ليس له يدٌ بكل ماجرى معي ولذلك أرسلتُ له مجرد تحية تعارف بسيط ليثبت لي حسن نيته.... أو... أنه لم يتغير, وكنتُ أنا وإياك نعيش وهماً كاذباً

لأعوامٍ طويله وكأننا في سباتٍ طويل أو تحت تخدير مهدئ رهيب.... أنا لم أصدق في البدايه أنّ زوجك هو العقل المدبر لكل ماجرى معي , حتى وجدتُ هذه يا ساره.... هل عرفتِ ماهو؟!!!

قرب (سمير) وجهه من الكاميرا ثم عرض شيئاً ما بيده.... لكن ماكان ذلك... كان قرصاً مدمجاً بين راحة يده وضعه فوق شاشة الكاميرا لتراه (سارة) جيداً.... شهقت (سارة) وهي تستمع الى (سمير) يكمل كلامه وهو يتحدث بحنقٍ وأسى....

_ لقد شغلْتُ الشريط.... أنظري مابه! هل تذكرين! قلت لي أنه متلف, وأنّ (جو) أتلفه! كيف وقعت يدي عليه وما الذي جاء به إِيّ من أحد أعضاء التنظيم الذين يهتم عناصر في الاستخبارات فكيف حصلو عليه.... هه؟ خبريني.... أنظري.... أليس نفسه!

شغل الفيديو أمام الكاميرا فظهرت صورته في التسجيل القديم الذي بسببه تركت (سارة) و(جو) طوال خمسة أعوام.... أخذت (سارة) تذرّف الدموع بينما صاح (سمير) بعد لأي.....

_ وداعاً الآن! لقد عدتُ إرهابياً فعلاً بنظر الأميركان فمهما أصبحت ومهما حاولت.... حكمتم بالجرم المشهود عليّ وبأنني أنا المسؤول عن آخر تفجيرات جديده! هراء! كلّ ذلك لأجل عمل بلبلّة وقتل مسلمين جدد أبرياء عزّل عن السلاح.... ماالذي يجري, لقد أصابني زوجك بنوبة (صدمه), فلم أعد أعرف ما الصواب!

نظرت (سارة) الى (جو) بعيني حزينتين لا تكفي الكلمات للتعبير عن مابداخلهما من مشاعر فنظر (جو) إليها بعتاب وأقترب منها وهو يهتف محاولاً الإمساك بذراعيها, لكنها ابتعدت وهي تبكي....

_ هل تصدقين حقاً أنني أفعل ذلك؟ صحيح أنني قد سلّمتُ القرص المدمج الى من هم أعلى منّي سلطةً وذلك لإخلاصي في عملي, لكنّ, عليك أن

تعرفني, أنه ليس لي يدٌ في ذلك كلّهُ.... لقد أنقل ملف (أخيك) الى ضابط
آخر ولربما أعادوا نبش أوراقه, ووجوده مذنباً ومجرماً دولياً.... وإلا هل
تصدقين أنني أفعل هذا بعد كل هذه السنوات! لماذا؟! وعلى أيّ أساس؟

_ لم أعد أعرف ماذا أصدق! عشت عمري كلّهُ معك صدفةً كاذبةً,
صدقتها أنا بكلّ غباء! أنا لم أعد أصدق شيئاً!!

ابتعد عني, ابتعدوا عني جميعاً! لن أبقى هنا!؟

_ أماه! لا تتركينا!

صرّح الأولاد خلف أمهم التي هرعت نحو غرفتها لتعد حقيبتها وتخرج
من المنزل , بينما ناداها أولادها وهم يصرخون ممسكين بها, وبناتها
يحتضننها بحبٍ وهنّ يبكين....

_ أماه! ارجوك! لا ترحلي!

كان (جو) واقفاً لا يلوي على شيءٍ وقد عقد ذراعيه فوق صدره, ينظر الى
(سارة) وهي تلوح بيدها لتوقف سيارة أجرة....

صاح به (ديفيد):

_ أبتاه! ألن توقفها!

نظر (جو) الى ولده البكر ووضع يده فوق كتفه وهتف....

_ بعد كل هذا العمر, أنا تعبٌ من التبرير.... ولن أقفها...

لها حرية تقرير مصيرها, أن أرادت البقاء أم الذهاب,

وأنا أفضل لها الذهاب الآن لتفكر بعيداً عني, لأنها لا تصدقني....

_ أبتاه! كلا! لن نترك أمنا....

ذهب (ديفيد) خلف أمه وفتح باب السيارة ليجلس قربها,

ركض (جو) خلفه, وهو يناديه بينما هرع ميخائيل نحوهما....

_ ألى أين يا ديفيد!

_ هل تريدني أن أترك أمي ياجو! كلا! سأذهب معها وأطمئن عليها, لا تقلقوا.... إذهبو جميعاً, وعودوا الى المنزل ...

_ أماه! سنذهب معك!

صاحت الأختان التوأم, بينما صرخت راحيل بعدهما....

_ أمي! مستحيل أن أتركك!

_ أحبائي! فلذات كبدي! سأذهب وأستأجر شقةً مع ديفيد,

ويمكنكم موافاتي هناك....

_ نعم يا أماه!

_ هتف الجميع وهم يذرفون الدموع....

وتمّ الأمر كما أرادوا, فلما أستقرت (سارة) في شقةٍ جديدةٍ بعيداً عن (جو), جلست تفكر في حياتها معه, وهي مذهوله, غير مصدقة أنه أراها أوراقاً رسمية مزورة تم تحويله فيها الى مسلم.... كانت (سارة) في حالةٍ ذهنية مليئة بالصراعات والأفكار المتضاربه.... فما بين عقلها وقلبها, لم تعد تعرف ما العمل.... لحق بها أولادها وبناتها, وشعرت هي أنها قد حمتهم بخطواتها تلك, لأن (سمير) سوف يستهدف (جو) وحده, وعند ذلك لن يمسّ أطفالها مكروه... لكنّ قلبها لم يستطع المقاومه عند ذلك الخيار, وشعرت أنّ (جو) في خطر, خصوصاً بعد أن قابلت أخاها بشكل سري وعرفت منه شكل قاطع أنّ (جو) قد كُفّف بأحياء ملف (سمير), والبحث عنه, وتصفيته وكانت تلك أوامر من القيادة العليا للاستخبارات, لأنه كان يعرف الكثير من المعلومات عنهم كعميل مزدوج, أعطاهم أسماء من

كانوا سبباً للعمليات الارهابيه, ولأنّ (جو) ليس بيده حيلةٌ في الأمر, فلقد كان لزاماً عليه تنفيذ الأوامر, والأ..... فستقوم الاستخبارات بتصفية (هو) لا محاله.... أخبر (سمير) أخته أنه سينفذ عملية اغتيال (جو) في تلك الليلة, وإنه يجب عليها الخروج من أميركا هي وأولادها..... نظرت (سارة) الى أخيها بألم شديد وهي لاتصدق ماتسمعه منه... ذرفت الدموع بصمت وكتمت ألمها...

كان (جو) جالساً في غرفته, يراجع ملف (سمير) في الحاسبه الخاص هبه, عندما سمع صوتاً... فُتح الباب, وكان هو خلفه ممسكاً مسدسه ليمسك بالشخص ويضع يده فوق فمه, فيكتشف أنه (سارة) ذاتها! التفتت إليه وهي تهمس...

_ كفى! لا تتفوه بشئ... أنت ستظل تابعاً لرؤسائك وليس لك يدٌ في الأمر, ولقد أخفيت علي اكثر مما أظهرت لولائك لهم,,, لكن حبي لك, حتم علي أن أتي وأحذرك!

وما أن قالت ساره ذلك وهي تقف مباشرة أمام جو, حتى اخترقت رصاصةً أطلقت عبر النافذه, ظهرها....ز

سقطت (سارة) على الأرض..... كان (جو) قد استلقى بجوارها قبل ان يعلم أنّها قد أُصيبت وهمس لها وهو يظن أنّها بخير.....

_ جنّت تحذرينني من الأرهابين, هه! علمتُ أنّك لن تتركيني حبيبتى.... ساره, سارتي الغاليه!

شهقت (سارة) وهي تناضل وتجود بنفسها لتلتفت إليه, خرجت الدماء من فمها, بينما شهق (جو) غير مصدقٍ مايراه.... وأخذ يذرف الدموع لأجلها...

_ ساره! لا..... هل أصابتك الرصاصه! لا, لا, ستكونين بخير....

_ أعتني بأولادنا يا (جو).... لقد أحببتك من كل قلبي....

والآن, أُصيب قلبي... أنا لن أعيش يا جو.....

_ لا, مستحيل! حبيبتي (سارة)!! لا...

_ لأجل ماذا أعدتّ النزاع وإلى متى ستظلّ هكذا يا (جو)... لماذا كذبت عليّ... لقد صدقتك....

_ حبيبتي ! كلا! صدقيني.... لم أكذب في البداية, لكنّ عملي حتمّ عليّ....
لم يكن الأمر بيدي..... سامحيني (سارة)!

_ إعتن بأطفالنا.....

_ ساره! لا..... لا تموتي..... لا..... لا..... سأذهب بك الى المستشفى

وستكونين بخير..... إصمدي حبيبتي

سأرعاك وستكونين بخير... صدقيني, سأترك كل شيء إن أصبحت بخير.
أعدك, أعدك.....

تمت



